ABU AL-HAYJA'

WA-AL-KHAYBAH AYDAN

2262
123261
.394

2262.123261.394
Abū al-Hayjā
wa-al-khaybah

DATE | ISSUED TO

DATE ISSUED	DATE DUE	DATE ISSUED	DATE DUE

Princeton University Library
32101 073833418

ع 12

والحبيبة أيضًا..

نواف أبو الهيجاء

Abū al-Hayjā', Nawwāf

نواف ابو الهيجاء

Wa-al-khaybah aydan

والخيبة أيضًا

دار اليقظة العربية
للتأليف والترجمة والنشر

2262
.123261
.394

حقوق الترجمة والطبع والنشر والاقتباس
محفوظة
لدار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر

١٥٢٤ ٦٣-٩-١١

للمؤلف :

« الاسبوع ذو الايـام الثمانية »
روايـة تصـدر قريبـا ...

الإهـــداء

الى ..

اعداء .. الضباب والضياع والظلام

اقدم ، بكل تواضع ، هـذا النتاج

نواف

الفتح

ـ قد أعثر عليه .

وصاح شيء في داخله :

ـ وقد لا تعثر عليه .

تساءل بلهفة :

ـ اذن لماذا أجهد نفسي بالمسير ساعتين ناهيل عـن ساعات العودة ؟

حدثه الكامن في أعماقه والشمس تسترق النظر من بين الصدع الهائل ، الفاصل للقمتين الصخريتين من السلسلـة الجبلية ، الممتدة أمام القرية بلا قرار :

ـ ربما كان ذاك الطيف صادقا !

تحسس الفأس التي يعلوها الصدأ وأجاب :

ـ انك تعبث بي .

جاءه الجواب مؤنبا وهو يحدق الى الحصى يطقطق بين قدميه :

ـ لاتصدق كل شيء .

صرخ محتجا :

ـ ولا اكذب كل شيء أيضا ، لقد قال الطيف : اذهب وستجده .. وهكذا سأذهب .

ثم خفف من حدة كلامه :

ـ على أية حال .. لن أخسر شيئا اذا لم أعثر عليه .. ولكني سأحصل على اشياء كثيرة متى وجدته ، أليس كذلك ؟

صمت الذي بداخله . الشمس تلقي بحزمها الرحيمة المتصارعة مع قطع من السحاب ، تمتم الرجل وهو يصوب نظره صوب السحاب (لحسن الحظ لن تمطر هذا اليوم). وكأنه تذكر شيئا فجأة . التفت الى رفيقه الصامت :

ـ لماذا لم تجب ؟.. أجب !! أليس كذلك ؟ ألن أحصل على اشياء كثيرة اذا ما وجدته ؟.. بلى وحق الشيطان !!.. لم أقسم به كذبا قط .. ألم أقسم ذات يوم أن أم محمد ستموت هماً وكمداً على ولدها الذي يتمتع الآن في (نيويورك) ؟.. ثم ماتت .. أليس كذلك ؟.. وهكذا فقدت شريكتي ... يطلقون علي اسم (أبو عباس) .. تفه !.. انك صامت ايها اللعين .. عندما يتكلم صوت الحق يخرسك ... إيه .. ليكن !

التفت ، ظله يتطاول ، يتسلق شجيرة بسهولة .. ووصل الى مسمعه عواء كلب .. أحس بأن الكلب جائع .. يدرك

ذلك .. لكن ما يشغله الآن اهم بكثير من ان يهتم بأمر كلب جائع . صمت رفيقه جعل القلق يتدحرج في كل جسده ، كيس حصى محمل على ظهر ناقة انشق فجأة .. انهال الحصى . أحب ان يجرب من جديد :

ـ قل لي الآن ، لنفرض أنني عثرت عليه .. ماذا سأفعل به ؟

جاء الجواب مترددا :

ـ و .. ولكنك لم تعثر عليه بعد .. وربما يكون الثراء السريع بل المفاجيء مستحيلا أيامنا هذه .. تذكر أيها الكهل أننا في القرن العشرين ... ألم يصرخ بك ولدك أمس متى نخلص منك ومن عقليتك البالية ؟

سكين الألم أحسها تحز أوعية دمه عندما تذكر وجه ابنه المكفهر وهو يصرخ به . غير أن الصورة ما لبثت ان تلاشت لتحتل مكانها أخرى .. أوضح :

الزاوية الغربية سوداء معتمة ، مليئة بالسحب اللعينة ، الرياح تكاد تقتلع الاشجار الباسقة ، كان يقف على صخرة ملساء مواجهة لجبل شامخ ، وظهر شبح .. طويل عملاق خاله الرجل في البداية كتلة من قطن ودب الخوف في كل خلاياه شعر بالوحدة تخنقه وهو في خضم هذه العاصفة ، اجتاحته موجة رعب عنيفة عندما لمح الشبح وتأكد منه وود لو يهرب غير انه تسمر ازاء صرخة ذاك الطيف :

ـ قف يا أبو محمد !!

تجمد مكانه ، منذ مدة لم يطلق عليه أحد اسمه الاول ، امتقع وهو يسمع الطيف البعيد :

ـ اذهب غدا الى بستان (الكرمة) الكبير .. عند زاويته الشرقية شجرة زيتون يتيمة .. تقدم عشر خطوات الى الشرق منها .. واحفر ..

وتهدج صوت الطيف الابيض :

ـ ستجد هناك كنزا .. انه بانتظارك .

اختفى الطيف .. اختفى ...

هز أبو عباس رأسه وهتف :

ـ سيكون الطيف صادقا .. هذا ما آمله .. ولكن ماذا سأفعل بالكنز وأنا على شفير الموت !؟

مرة أخرى ترامت امامه الظلال وهو يحاول مااستطاع التعجيل كي يصل بسرعة .. رغبة تلح عليه للسير قدما رغم صرخات احتجاج أعماقه .. المعول يحاول ان يعيقه . تحسس ذقنه القنفذي وقال ممتعظا : لماذا لم يأتني الطيف قبل هذا ؟

ومن أمامه مرت صور اولاده .. كلهم يريدون نهايته.. لا يحبونه .. تمنى لو أن زوجته تخرج من أحشاء الارض المطبقة عليها كي تشهد هذه اللحظات .. وخال أنه عثر على الكنز وعاد به . الليرات الذهبية تملأ الكيس الذي رماه على كتفه .

سيصرخ عباس :

ـ أنت عظيم يا والدي .

ويأتي الثاني كطفل صغير .. يتشبث برقبته الواهنة يقبله بينما يهتف الثالث :

ـ لقد أصبحنا أغنياء .

لمح من بعيد شبحين لرجل وامرأة .. كانا يسيران في الحقل المترامي بين الطريق الذي يسير به والوادي الذي يمكن منه لأي انسان ان يشاهد الجبلين المتعانقين بوضوح. همس : كم من الاجيال مرت وهذان الجبلان يطلان ويشهدان كل شيء !! وكم من مرة أزاحت مويجات الاشعة بقعة العتمة الكامنة في الصدع الهائل !! ترى لو كانا واحدا .. أية معجزة يمكن ان تحدث ؟؟ لولا الصدع لما شاهدنا أشعة الشمس وقرصها حتى الظهيرة ... التفت الى داخله : والآن ألا توافقني على ذلك !؟

أجابه ذاك برزانة هذه المرة :

ـ صدقت .. انت على حق وأتمنى ان يبقى خط تفكيرك سائرا في هذا الاتجاه .

غير أن هذا أصابه بالخيبة . امتعض فهتف بصيغة احتجاج اعتاد أحد أولاده ان يقوم بها أمام عباس :

ـ أنك ترتاب دوما أيها العزيز ...

ـ الريبة أساس الثقة !

ـ كيف ؟

ـ اسمع يا عزيزي .. الحياة تبعث من ظلال الموت .. ولولا الظلام لما كان النور .. والعكس صحيح بالطبع ... أي لو لم يكن الشك لما صار اليقين .

قال الشيخ وقد لطمته أصابع الحيرة :

ـ لم أفهمك !

وعلى الفور قالت اعماقه :

ـ كيف تميز السراب من الحقيقة ؟

حك الرجل أرنبة اذنه وكاد ان يقهقه لولا يقينه بأنه سيخلص الى حل :

ـ عندما أرى الشيء ، والمسه اقول هذا حقيقة موجود .. غير ان السراب أراه شبيها بالحقيقة فاعتقده كذلك .. ولا المسه !!

ـ بدأت تجنح نحو المنطق .. أقول لك .. اليقين هو ما ادركه وما المسه .. والشك هو مالا المسه .. غير أني أدركه .

راودته صورة الطيف ثانية .. حاول بالحاح أن يسأل رفيقه لكن ذاك كان يلتزم الصمت . يلح الرجل ولا من اجابة .. أخيرا صاح بصوت مسموع :

ـ يبدو لي ان ذاتي غير مؤمنة .. لا تؤمن بأي شيء أبدا .

هنا صرخ ذاك :

ـ أصبت كبد الحقيقة .. وأنت قد أقـ

قاطعه الشيخ :

ـ اسمع يا عزيزي .. لقد اقسمت بالشيطان بلا وعي ..

ـ عظيم .. هذا شيء رائع فأنت اذن لا تؤمن حتى بالشيطان . ظاهرك شيء وباطنك آخر .

طوقته اصابع الحيرة .. انها حول رقبته الهزيلة .. تضغط فوق شرايينها الزرق :

ـ هذا صحيح .. لكنك أنت السبب .

قهقه رفيقه :

ـ ماذنبي أنا ؟.. لولاك لما كنت .. لولاك لما كنت ...

وتلاشى صوته .. لم يعد الشيخ يسمع سوى صداه .. وهو يردد :

ـ الى اللقاء مـع كنزك الموعـود ... الموعود ... الموعود ...

التفت الكهل أمامه . القرص الملتهب يتوسط الصدع فبان منظره يثير الرعب .. أحس الرجل بالوحـدة ودان يسأل قرينه .. ذاته .. لكنه أيقن ان رفيقه ذهب على ان يعود عند اكتشاف الحقيقة . كتم غيظه :

ـ أية صدمة ستعيب اللعين عندما أعثر على الكنز ؟؟

أراد أن يقهقه مستجيبا لرغبة مفاجئة لكنه أدرك أنه وحيد .. وحيد في هذا الوادي . وأنه اقترب من (الكرمة)

وان الشمس هي الوحيدة التي تنفث الخوف في أعماقه وفي هذه اللحظات بالذات .. فلو كانت خلف الجبل لما انتابه ذاك الشعور الخبيث ـ لكن ـ هه ـ الصدع الهائـل ـ ضحك بألم وهو يذكر أنه قبل لحظات أحس بالرعب لو أن الجبلين اتحدا .. هز رأسه وظله لما يزل خلفه ولكنه يتقلص. سار وحيدا .. الأمل يدفعه .. ينخزه .. يحركه .. نحو الكنـز .

انغمست الشمس في الافق الغربي . تلطخت اللوحة بالدم . انتشرت الغيوم الداكنة وتحرك الريح يهز الاغصان، يسقط الاوراق الصفراء . وامتدت الظلال تغمر القرية . أنيرت الغرف بالقناديل الشحيحة برتقالية اللون حيث يسمو الدخان الاسود ليقبل طويلا جدران الزجاجات الداخليـة فيزيد من الظلال .. وعباس وعلي يرتشفان القهوة المرة داخل غرفة كبيرة . الصمت يقرعه نباح الكلاب . والفتيات عدن من (العين) بجرارهن ملأى بالماء .

هز عباس رأسه العاري وهتف :

ـ لقد تأخر هذا الخرف .

أجابه علي بسخرية :

ـ ليته يموت .

ضحك عباس :

ـ ان يموت شيء وان يفقد شيء آخر ..

ـ هذا صحيح سيصموننا بالعار .. كلهم ..

وتطلعا خارج الغرفة . الظلام يفرد ريشه المتماسك على القرية . الاشجار بدت أشباحا أطول من الجبال المحيطة بالقرية . لمح عباس أباه فهتف بعد أن زم شفتيه :

ـ ها هو ذا أخيرا ... ولكنه يهرول !

ـ دعنا منه فهو معتوه .

ـ ترى أين كان منذ الصباح ؟

ـ سله بنفسك !

تقدم الشيخ . عيناه الكرويتان الغائرتان تعكسان ضوء القنديل الشاحب . شفتاه ترتعشان . أنفه ينتفخ بغرابة . نهض عباس وهو يحملق به :

ـ أين كنت ؟

لم يجب الرجل . ظل متجمدا . عيناه تدوران . عضلات وجهه تتقلص وتتحفز . اسنانه تصطك . هتف علي :

ـ اتركه .. ألم أقل لك انه ـــ

نهض مذعورا عندما سمع ضحكة عربيدة دوى صداها في اركان الغرفة الكبيرة .. ضحكة قفز على أثرها عباس .. وصفق الشيخ بيديه وهو يتمتم :

ـ لقد .. هه .. هه .. ـ كنز . كنز ...

تبادل الاخوان النظرات الحائرة . هزّا رأسيهما . دنا عباس من أبيه بهدوء ، لكنه فوجىء بلطمة على خده ..

لطمة عنيفة :

ـ ابتعد .. اغرب عن وجهي أيها الخنزير .. هه .. هه .. لقد عثرت عليه .. ك ـ ك ـ كنز .. كنز .

سأله علي بهدوء وهو لا يجرؤ على الاقتراب منه بينما كانت امرأة تمر من أمام البيت :

ـ أين عثرت عليه ؟

لزم الشيخ الصمت . أحس عباس برغبة قوية لتقبيل اليد التي صفعته للمرة الاولى .. لم يشهد والده يصفع أياً منهم .. بل اعتاد ان يراه على الهامش لا يتدخل بشؤونهم .

علي يريد بكل قوة ان يكتشف السر .. قفز الشك عملاقا في رأس عباس عندما شاهد أباه وهو يصفق ويرقص ويدندن :

ـ ك .. ك .. كنز .. ها . ها . ها .

ويضحك . المرأة التي اتسعت حدقتا عينيها ولت هاربة صارخة :

ـ أبو عباس مجنون .. اصابه الجنون .. أبو عباس به مس ..

*

لم تنم القرية تلك الليلة . حتى (السيد الكبير)

وحارسيه شاهدهم الناس يدخلون باهتمام الى البيت .
قالت امرأة لصديقتها والصمت يطبق داخل الجدران :

ـ لقد أصبح أبو عباس محبوبا اليوم ... أتعلمين لماذا؟

أشارت الثانية انها لا تعلم فهتفت الاولى :

ـ لأنه عثر على كنز .

هزت عجوز كانت تقف الى جانب التنور رأسها وقالت:

ـ لكنه لم يخبرهم عن مكانه ... رغم انه مجنون .

صاحت الثانية :

ـ اذا كان مجنونا فكيف يصدقونه ؟

هزت العجوز رأسها ثانية ودمدمت :

ـ هذا هو الغريب في الامر .

عادت الاولى لتقول بحماسة :

ـ ربما أصابه الجنون عندما عثر على الكنز .

ساد الصمت فترة .. قطعه عواء كلب كان يضطجع الى جدار طيني متشقق .. ثم هزت العجوز رأسها للمرة الثالثة وتطلعت خلفها الى الخواء في الوادي :

ـ لا أعتقد بأن الجنون اصابه ساعة عثوره على الكنز في حالة عثوره عليه حقيقة .

تساءلت الاولى بفضول :

ـ اذن متى ؟

ـ عند عودته .

صرخت الثانية وقد نفذ صبرها :

ـ كيف ؟

خطت العجوز تدنو من الحشد الصامت وهمست :

ـ عندمافكر بشيخوخته .. وباولاده الذين يكرهونه ..

*

أشرقت الشمس من جديد .. توسطت الصدع وكان الجمع ينفض من حول الشيخ الذي اصبح يردد مقهقها :

ـ لن اخبركم .. ك .. ك .. كنز .. رأيته ...

خوذة .. درع .. سيف .. خوذة .. درع .. سيف .. خوذة ...

ثم يبصق ليبلل وجه علي ويهتف بصوت مخنوق حزين:

ـ ذهب اللعين .. ماهي الفائدة ؟

خرج تتبعه النظرات والافئدة .. همس علي باذن عباس :

ـ لو أنه لم يجن .. لو أنه يخبرنا أين الكنز ثم يموت .. أما الآن فأتمنى ان يعمر طويلا عله يدلنا عليه في يوم ما ..

*

القرية كلها تتهامس .. حدث عجيب ذاك الذي وقع .. صحيح أنهم سمعوا عن العفاريت التي تخرج في الظلمة ..

لكنهم لم يسمعوا أبدا برجل عثر على كنز وجن في وضح النهار . ذهب البعض الى اعمالهم .. والبعض الآخر تبع الرجل الذي انحدر صوب الغرب . توسطت الشمس كبد السماء بعد أن انجلت سحابات الصباح . وبين اشجار الزيزفون كان الرجل يجر ساقيه وهو يتمتم :

ـ خوذة ... درع ... سيف ..

وما كاد ينتهي من لفظها حتى هوى في .. حفرة .. أطل منها بعد ان شعر بقوة مفاجئة تغمره .. التعب اعياه .. الجوع انهكه .. السير هده .. وهو يسقط في الحفر منذ الصباح .. لمح ولديه يختبئان خلف شجرة زيزفون كبيرة يرقبانه .

جال ببصره في أرجاء المكان .. الحفر في كل جهة .. في كل بقعة وطئتها قدماه منذ أكثر من عشرين عاما . الارض كلها مقلوبة .

همس عباس لأخيه :

ـ والدي كذاب .

ـ لا اعتقد ذلك .

ـ بلى كذاب .. انه مجنون فحسب .. أو أن هناك أمرا لا استطيع تفسيره ...

عندما صوبا نظرهما ناحيته .. كان يضحك ويبصق

باتجاههما ويصرخ بأعلى صوته :

ـ اللعين ذهب .. ماهي الفائدة !! هه .. هه .. تفه .. خوذة .. درع .. سيف .. تفه !! لن اخبركم .. أبدا ... ها . ها . ها .

*

الصّدع

ـ ما هذه السمنة الغريبه التي اصابتك يا سها ؟

احمرت وجنتاها وهي تحدق الى والدتها التي كانت ترتشف القهوة .. أجابت حيرى :

ـ لست أدري ..

حاولت ان تشرب من فنجانها لكنها شعرت بغصة تخنقها وهي تقول لنفسها (حمدا للشيطان انها ظنت المسألة سمنة غريبه) .. ارخت اهدابها السود الطويله واسترخت في مقعدها وهي تسمع امها الكبيرة التي وضعت الفنجان في صحنه وتمتمت :

ـ الدنيا غريبه ..

رددت سها وهي شبه مغمضة العينين ما قالته والدتها ورأسها يزخر بالافكار ... تساءلت :

ـ اماه ماذا يحدث لو تزوجت ؟

رفعت العجوز رأسها الاشيب .. تأملت ابنتها .. ثم

جالت ببصرها في انحاء الغرفة المفروشة بأناقة :

ـ انتن بنات اليوم غريبات جدا .. ألم يأت عادل ويطلب يدك قبيل ثلاثة أيام ورفضت ؟

فضلت سها الصمت .. وتكورت امامها في الفنجان صورته ..

ـ يا سها .. اتذكرين أيام الطفولة في القرية ؟

اغمضت عينيها بألم .. اجابته ببرودة مصطنعة :

ـ اذكرها جيدا .. واتمنى لو اعود طفلة من جديد .. بل وابقى طفلة الى الابد .. بلا عقل وفي قريتنا الجدباء ...

ضحك فبرزت تجاعيد وجهه الاسمر .. وصاح فجأة :

ـ أنا أعلم كل شيء ...

ـ لماذا أنت صامتة يا سها ؟

رفعت رأسها بغته نحو أمها التي نهضت تتثاءب وتمط اضلاعها وأمام نظرات العجوز المنتظرة قالت :

ـ لست أدري انما ـــ

والقت نظرة سريعة نحو ساعتها واردفت :

ـ الساعة الحادية عشرة .. لننام أفضل ...

أتاها صوت والدتها كسولا :

ـ تصبحين على خير .

حدقت بالعجوز الارملة .. انتابها شعور غريب .. أحسّت انها عادت طفلة .. صغيرة جدا .. وتحتاج لحنان

امها .. وودت ان تلقي بنفسها في احضان العجوز الرؤوم.. فعدت نحوها واحتضنتها .. دفنت رأسها بصدر أمها .. صورة سوداء قاتمه تغمر كل مخيلتها :

ـ أمي ...؟

ـ نعم ..؟

ـ ماذا لو حدث شيء ؟

وانسلت من بين يدي العجوز برشاقة .. بينما ارتسمت معالم الاستغراب على وجه الوالدة الاجعد :

ـ اي شيء يا سها ؟

ارتبكت .. أحنت رأسها .. (بطني ينتفخ بصورة علنية .. ليت شيئا يحدث) :

ـ لا .. لا شيء يا اماه .. تصبحين على خير ..

رمقت العجوز انتها . تفحصتها طويلا .. ثم تمتمت وقد غلبها النعاس :

ـ نامي .. الصباح رباح ...

كلمتا والدتها الاخيرتان ترددتا صدى عميقا في رأسها (الصباح رباح) وضحكت وهي تصعد درجات السلم الى الطابق الثاني (ومن قال ذلك ؟.. ايتها الحزينة يا أمي .. انك وحيدة وستبقين وحيدة .. هكذا بلا نصير تقضين أيامك الاخيرة موشحة بالسواد كل شيء حواليك سيكون اسود اللون .. جوانحك ستقطر أسى ولوعة .. الصباح ـ تستيقظ المسكينة على صرخة رعب وألم تقطع اوصال هدوء

البيت اليتيم .. ابنتها انتحرت .. وتتساءل النسوة :

ـ كيف ماتت سها ..؟

وصلت الباب .. ادارت الاكره واصوات تصم اذنيها تصرخ :

ـ انتحرت .. انتحرت .. انتحرت ..

خطت الى الداخل .. اغلقت الباب باحكام .. ادارت المفتاح .. ثم الاكره لتتأكد من كونه مغلقا .. ودنت من النافذة .. ازاحت الستار الابيض الشفاف .. فتحت النافذة .. شاشة رأسها بيضاء .. لا شيء جديد .. اطلت على الخواء الحالك والصمت القلق المتفجر الذي يغطي المدينة.. همهمت :

ـ كأن شيئا لم يكن .. أو كأن شيئا لن يحدث .

اطلت من النافذة .. الشارع مقفر تقريبا .. ها (سيارتان الاولى سوداء .. الثانية بيضاء) هزت كتفيها وتمتمت :

ـ ماهو الفرق اذا كانت النتيجة واحدة ..؟

وارتسمت امامها مرآة النهار ...

زحام المدينة يقطع اوعية دمها وصراخ السيارات يرقش السموم فوق العيون التائهة .. وصمت السماء ينسج خيوطا سوداء تحيطها بالضباب .. وذاك الذي ينهش بطنها حياة محرمة ، ويسكب الموت فوق بيتهم الموحش .

ورددت اعماقها (نتيجة الحياة موت .. نتيجة الموت

لا شيء .. اذن نحن لا شيء) وتطلعت الى السماء (السحب اللعينة تتراكض ولا تريد أن تمطر المدينة ، انها تأبى أن تنفخ عاصفة هوجاء تنزل البلاء .. كم ردد والدي :

ـ ان لم يعكر صفو الماء لا يصفو أبدا) .

ضحكت .. وقالت بصوت مسموع .. بينما يدها تتحسس بطنها من فوق الفستان الرقيق :

ـ ان لم يحل الدمار على المدينة فلن تكون مدينة .. وان لم امت فلن اكون من كنت ..

تركت النافذة .. راحت تحدق بكل ما تراه .. السرير .. الخزانة .. قلبت شفتيها وهي تردد :

ـ قالها ذاك المسكين .. يا للخديعة !! استاذي المنتحر ...

وعادت الى الوراء .. هي تجلس الى جانبه .. استاذها .. رجل في العقد الخامس من عمره .. الشيب غزا رأسه .. والصلعة تلتمع عندما تلامسها خيوط النور المنبعثة من المصباح فوق رأسيهما .. قال لها :

ـ الحياة بطولة .. وان نحياها قمة البطولة ..

جلست على حافة السرير (هه .. اذن لقد غرق في مستنقع الجبن الاسن عندما قتل نفسه .. كلا .. كلا .. انني اتخبط) .

وعادت اليها صورة والدتها .. فكرت :

(والدتي تظن بأنها ستوقظني صباح الغد .. يا للعار ..

لو علمت عن حمل الاثم الجاثم في احشائي .. يلسعني نيران حرمان وجريمة .. ماذا تفعل ؟ تلطم خديها وتشق ثوبها .. يبرز ثدياها المترهلان .. وعيناها ؟..)

كورت راحتيها . الصور تمر من أمامها :

عيناه الجميلتان تخفيان خلفهما وحشا .. لقد هصرني .. ليمونة اعتصرتها والدتي ذاك اليوم عندما كاد الاستاذ يسقط مغشيا عليه .. عانى من اشياء كثيرة لكنـــه لم يخبرني أي شيء ..

تحولت عيناها نحو النافذة .. وضحكت بحرقة :

انهما من طينتين مختلفتين .. هذا يستر مشاعره بكلمات معسولة .. وذاك يقنع حقيقته بعينيه الجميلتين .. لـكن النتيجة مشابهة .. هذا انتحر .. وذاك يسبب انتحار ...

ثم راحت تبتهل للشمس وقد تراءى لها ان الصبـح بزغ ...

رويدا أيتها الشمس .. اظهري اقتربي من الارض .. احرقي الضلوع .. اشوي الجلود .. اغتالي الحياة .. ليعم الظلام .. ويسيطر الضلال .. واتيه مع جمع التائهـين لا يعيرني احد ...

ضربت بطنها بجمعها فشعرت بميل الى التقيؤ .. لكنها استمرت وهي تحدق بالنافذة المطلة على الخواء المظلم ... لا جدوى .. لا جدوى .. كم هي كئيبة هذه الليلة ..

ستشهد مصرعي .. أأتيه في صحراء الزمن ؟ يا للمهزلة .. وأنا ظننت نفسي مدركة .. بل وذاك الاستاذ .. قالها عدة مرات :

ـ عيبك انك ادركت الحياة مبكرا ...

نهضت فجأة .. يداها تعبثان بصدرها واعماقها تستغيث ؟

(ماذا يريدون ؟ ورقة وقلما .. طبلا ونايا .. ومحبسين؟ لا .. كيف كان الاقتران ؟.. رجل وامرأة وانتهى الامر .. هذا لا يعني الناس ...)

عاودتها صورة الاستاذ المنتحر برأسه الاشيب الأصلع

ـ يا عزيزتي سها .. ليس الامر هكذا .. من البطولة ان نحيا الحياة لا ان نغتالها ..

ـ ولكن يا استاذ .. أليست نتيجة الحياة هي الموت ؟

ـ نعم ..

ـ اذن لامت بارادتي ..

(صمت اللعين تماما كتمثال الرخام .. جميل .. كبير السن ولكنه صامت .. ميت .. بارد)

اتجهت ناحية خزانة الملابس .. مدت يدا مرتعشة لتفتح الخزانة .. ترددت .. ثم اقدمت .. الحل .. الموت .. الموت هو الحل .. أليس هذا هو قراري الاخير ؟.. الموت ..؟ ممكن جدا .. وفتحت الخزانة .. وقعت عيناها على علبة .. وتمتمت وهي تتفرسها (هذا هو الموت ..

عشرة اقراص منومة ـ الموت الابدي) • امتدت يدها اليمنى •• لكنها شعرت بضربة رعب تجتاح اعصابها وتسحبها الى مجهول •• حدقت بالمرآة وقررت ان تنظم افكارها قبل تنفيذ العمل الخطير •• عيناها ذابلتان •• وجهها مكسو بالشحوب •• نظراتها تائهة تحدق بمجهول •• وتصورته بوجهه الهزيل وشعره الابيض يقف الى جانبها وتنعكس صورتهما بالمرآة •• تأوهت وهي تحدث ذاتها •• (الفرق واضح •• الاستاذ في الخمسين من عمره ـ وأنا لم اتجاوز العشرين •• لكنه انتحر •• والدي ردد عدة مرات ـ من كان يكبرك بيوم فهو أدرى منك بعشر تجارب ••

وتساءلت وصورته لما تزل الى جانبها :

ـ لماذا اقدم على الانتحار ؟

حاولت ان تعثر على جواب لكن سؤالا عملاقا كان يقفز ليطغى على كل مشاعرها :

ـ ومن هو لاقارن نفسي به ؟

تعود ثانية محاولة ايجاد التعليل •• تذكرت اشارة زوجته التي قالت لها بعد ان هدأت موجة الحزن العميق :

ـ ترك لك رسالة يا سها ••

سألتها : أين هي ؟؟

جاءها الجواب محيرا أيضا :

ـ لست ادري ...

هتفت وهي لما تزل تتطلع في المرآة :

ـ لو عثرت على الرسالة لادركت سر انتحاره ...

واستمرت .. انه هو .. (المجرم) .. تسلل الدم بسرعة ليملأ وجهها ويغمر كل أمل بالحياة فيها .. يغرقه ..

قالت له وهي ترتجف وتلملم الخطيئة بثيابها :

ـ يا عمر .. يجب ان نصلح ما افسدناه .. نتيجة لتسرعنا ..

واجابها وهو يتأمل بلاط الغرفة وينقر باصابعه الطاولة:

ـ نعم .. نعم .. يجب ان نصلح .. يجب ..

امتدت يدها بسرعة الى العلبة وهي تصرخ :

ـ كيف صلح الخطأ ؟؟ هو باوربا .. وأنا هنا يتلوى حمل الخطيئة بين جوانحي ..؟

شعرت بقشعريرة تسري في جسدها الصلب البكر .. ورأت نفسها تشهد الدموع .. الحشرجة تغلبت عليها .. بدأت تشاهد كل شيء مظلما .. كل شيء يطمره الغبار .. لا شيء نظيف .. لا براءة غير براءة الاطفال .. وصلت قطرات الدمع شفتيها .. اخرجت لسانها تلعقها .. شعرت براحة وهي تبلل شفتيها بالماء المالح الذي مالبث ان تلاشى .. عادت تحدق بالمرآة .. ثم تتأمل بوجل وخوف العلبة بيدها الواهنة .. ارتسمت صورة عادل .. تحولت الى المرآة .. انه يعدو خلفها بين الحقول تغمرهما الخضرة .. طفلان ..

وتعثرت قدمها وسقطت .. الحشائش تشعرها تتكسر — بل تنحني .. انفاسهما تتداخل .. يحاول ان يساعدها على النهوض .. فكرت وصورته تملأ عليها كيانها ...

(قال لي انه على استعداد لأن يتزوجني رغم انه يعرف كل شيء .. بل قال اكثر من ذلك .. اضاف باصرار :

— سنسافر الى أية مدينة تريدين .. لنصلح ما افسده الغير .. وشقاوتك ...

هزت رأسها بعد ان ذابت صورةعمر .. بعينيه الجميلتين وابتسامته الدائمة .. شعرت بتقزز .. انقضت على المرآة تبللها بالبصاق .. تراجعت مذعورة ..

جلست على حافة السرير ثانية .. اقراص المنوم بين يديها تحدق الى العلبة كمن يشاهد افعى تدنو منه وقد برز نابها الذي يحمل الموت .. تصلب كل شيء فيها .. عروقها .. يداها .. نظراتها .. خمدت حركتها .. عقد لسانها وشعرت بحركة في احشائها .. انهارت ثانية .. راحت تنشج وهي تهتف :

— سأقضي على شخصين .. بل ربما اربعة ..

جسدها يهتز بتوافق مع شهقاتها اثناء البكاء .. ارادت ان تقف .. لتتأمل نفسها ثانية .. ولتنظر الى المدينة الغافية من خلال النافذة .. وقفت خلف النافذة وأطلت .. الشارع مهجور .. كل شيء صامت .. حدقت طويلا في العتمة .. اشباح الاثم تدنو .. اشباح الجريمة تقترب

.. وبعصبية اغلقت النافذة .. وعادت تتأمل العلبة الجاثمة على الفراش تنتظر التنفيذ . أمسكت العلبة .. فتحتها .. (القرص اللعين .. عشرة اقراص وتكون النهاية .. أأجلب الماء ؟) مشت نحو الطاولة الصغيرة .. تناولت كأس الماء.. ملأته ثم عادت الى السرير بآلية عمياء .. حملت القرص وبسرعة دسته في فمها ثم شربت جرعة ماء .. لكنها توقفت عن التنفس برهة .. فاغرة فاها .. تصلبت شرايين يديها فسقط الكأس وصحت على صوت انكساره .. تبعثر تحت قدميها .. بهتت :

(ويلتي .. أنا اقتل نفسي حقيقة .. لماذا ؟.. الموت ؟). صور كثيرة وتساؤلات اكثر (لا .. لا اريد ان اموت ويقولون انها جبانة ..)

انفاسها تتلاحق .. سمعت وقع اقدام .. انها والدتها .. انها تدنو من الباب .. سمعتها تقول بمطاطيه :

ـ أأنت مستيقظة للآن يا سها ؟

ـ نعم .. اماه .. لا توقظيني مبكرا .. هه ؟

لم تسمع الاجابة .. تطلعت صوب العلبة .. تناولتها.. (فأرة مقتولة .. كما فعل ذات يوم عادل بعد ان قتل الافعى التي كادت تودي بي في الحقل ..) القتها الى جانب قطع الكأس الزجاجية المتناثرة .. وراحت تدوسها .. وتدوسها بكل قوة .. شعرت بمغص مفاجيء يجتاح بطنها .. نهضت

.. اقتربت من المرآة .. شعلة امل اجتازتها بسرعة .. وجهها احمر :

ـ السمنة الغريبة ستزول .. ستزول .. ان القرص الواحد قد يقوم بالعمل ..

تثاءبت .. شعرت بحاجة الى النوم .. ولما عادت تحدق الى المرآة علت امامها صورة عادل وهو يقتل الافعى .. وابتسمت ـ الموت لن ينه المشكلة .. مابعد الموت اجهله .. انني اخاف كل مجهول .. مابعد هذه الليلة اعرفه .. أنا أحب الحقيقة .. مهما تحدثوا غدا ... لكنهم لن يعلموا .. أبدا ..

خطت على مهل .. وهي تشعر انها خلقت من جديد .. واقتربت من زر المصباح واطفأت النور .. ابتسامة امل تغرقها . عيناها تلتمعان وسط الظلال التي غطت الغرفة الصغيرة ... سارت نحو السرير .. اغمضت عينيها واستلقت .. ومن الخارج بان القمر يطل من خلال النافذة يصارع بعض سحابات خفيفة فيكشف القطع الزجاجية .. والعلبة المتلفة .. وفتاة ارتسمت شبه ابتسامة حول ثغرها الرقيق الاحمر ..

الشيخ الذي ذهب

... وماءت القطة البيضاء الصغيرة قرب ساقه ، حدجته بنظرة استحياء ثم صلبت ظهرها . مسحت شعرها الناعم بسرواله العتيق . ماءت ثانية . التصقت به بعد أن قربت رأسها أسفل سرواله وفركت به اذنها بحدة فسمعته على التو يقول وهو يشد ربطة عنقه السوداء المغبرة :

ـ ما من شيء يسرني سوى وجودك أيتها الصغيرة ..

كأنها شعرت بالفخر فلقد انتصب ذيلها الارقط الطويل .. راحت تموء بخيلاء وعيناها تغرقانه حنانا .. استمر وهو يحدق بالمرآة التي علاها الغبار .. يعدل من ياقة قميصه المصفرة :

ـ انك تذكرينني بأشياء كثيرة .. منها قريتي التي لم ارها منذ اربعين .. بل ربما خمسين او مائة عام . لست أدري فلقد فقدت الاحساس بالزمن ... ايه ولكن ماذا تفهمين أنت من هذا ؟

التفتت صوبها فرآها تقفز على السرير . تذكر طفلا حصل على نقوده صباح العيد . وهنا تنبه أنه احضر معه ليلة امس قطعة خبز محشوة باللحم الفائض عن الحاجة فهتف :

ـ طعام الافطار .. كدت أنس حاجتك الماسة اليه أيتها الحبيبة !

دس يده في جيب سرواله .. اخرج القطعة .. حدقت القطة به . ماءت .. قفزت بمرح الى الارض .. ألقى القطعة بين قدميه .. ابتعد .. تقدمت القطة .. فصاح :

ـ ويلك أيتها البائسة .. ألم تحصلي على فأرة صغيرة مثلا ؟

لسانها يرطب القطعة الصلبة .. لكنها رفعت رأسها صامته واحنت اذينها .. رأته بوجهه الاجعد ونظراته التي خمدت جذوره حرارتها .. أملها .. التقت عيناه بعينيها البراقتين .. حدس ماتفكر به .. هتف :

ـ لا تخشي شيئا أيتها الرفيقة .. لن أموت قبل أن أنقلك الى مكان فيه كثير من الفئران .. تشبعك .. بل تسمنك .. وآنذاك تذكري ان رجلا وحيدا استطاع أن يقدم لك كل ماتستحقين .. بل قدم لك اكثر مما قدم لنفسه .. ها ؟.. الا توافقينني على ذلك ؟.. مشغولة بالافطار .. وطعامي .. اين هو ؟ شعر لحيته قاسٍ ..

لمسه بيده التي علت اخاديد شراينها الزرقاء .. حدق الى المرآة بعينيه الغائرتين المسحوبتين « كم أنا هزيل شاحب!! عظمتا خدي مرتفعتان اكثر من اللازم .. لحسن الحظ ان الشعر يغطي هاتين الحفرتين .. » فغر فاه « آه .. الاسنان ـ بقية الاسنان سوداء منقرة .. لم لا ؟ .. انها شواطىء السنين الطويلة .. الامواج بذلت جهودا ضخمة .. » .. ثم همس للقطة المشغولة وقد تذكر شيئا :

ـ قولي لي أيتها الصغيرة .. يزعمون ان الشهر سينتهي بعد اسبوع واحد .. كيف سأدفع اجرة هذه الغرفة ؟ قولي لي بحق الاله .. كيف وانا استلفت ثمن حذائي الجديد ؟.. هذا ناهيك عن اجور الايام المقتطعة .. لسوء تصرفي كما يزعم السيد ..؟

لم ترفع القطة رأسها .. اجتاحته موجة غضب مفاجئة :

ـ ألا تهمك هذه القضية ؟

لم ترفع القطة رأسها .. بطنها يعلو ويهبط بتوافق .. اسنانها المدببة تقرض اللحم والخبز .. بل لم تصلب ذيلها أيضا . استدار .. فتح الباب الخشبي المسود الملطخ برسوم طباشيرية .. لما هم بالخروج شاهد الهرة ترمقه بنظرة من زاوية عينها اليمنى فابتسم وقد تذكر طفولته .. خرج .. استقبله الزقاق الضيق .

* * *

عندما دخل المطعم الضخم داهمته رائحة الطعام ..

لكن امام نظرات السيد القاسية تصنع اللامبالاة وقال وهو يفرك راحتيه :

ـ صباح الخير ..

كان السيد يجلس خلف طاولة أنيقة يكوم امامه كرشا خاله الرجل كيسا من الرز .. أجابه وقد قطب :

ـ لماذا أنت متأخر اليوم ؟

فزع الشيخ وشعر بشيء يلوي معدته وينخره بخاصرته ولكنه قال بصوت خافت متهدج :

ـ لا أعتقد ذلك يا أستاذ !

جاءه الجواب كوقع الصاعقة :

ـ ايها الشيخ الماكر .. الساعة الآن هي السابعة والدقيقة الخامسة .. أي أنك متأخر خمس دقائق كاملة .

غرق في الحيرة .. أحس بأن هذا اليوم أسود لعين فحاول ان يتذكر اسمه فلم يستطع .. تساءل :

ـ من أين لي ان أعرف وانا لا أملك ساعة !؟

هنا ضرب السيد الطاولة بقبضته المنتفخة الحمراء فتراءى للشيخ انها انكسرت فتراجع مذعورا وهو يسمع :

ـ انك تستطيع ان تسأل أي انسان عن الوقت !! هيا الى العمل .. هيا ايها الشيخ الماكر .. الخبيث .

(لماذا لم أخلق ابن رجلٍ غنيٍّ مثلا ؟) تساءل الشيخ وهو يخطو ناحية المطبخ . استقبله زميله الشاب بوجه باسم .

* * *

بعد الساعة العاشرة من ذلك اليوم تذكر الرجل ايام طفولته .. أيام يتمه بالقرية الصغيرة .. لقد فتح عينيه على الجوع واليتم . عندما وضعته امه كان والده قد مات .. بعد سنتين تزوجت امه من اغنى رجل في القرية .. بل يذكر جيدا بأن جميع سكان القرية كانوا يدينون له بالطاعة ويحترمونه . لكنه الآن يدرك بأن كل ذلك لم يكن غير الخوف منه اذ اعتاد أن يسير ويحرسه اثنان كل" يحمل بندقية طويلة .. وفي ذاك القصر الكبير الذي تلاشت معالمه الآن من مخيلته ، عومل محمد ، وهذا هو اسمه ، بقسوة. بصق وهو يذكر كيف ان والدته صفعته عندما حاول في يوم العيد ان يسرق كعكة لابنة الجيران الفقيرة . وعندما حضر زوجها أخبرته بالامر .. وويل له ذلك اليوم .. السوط الهب جنباته بل طوى لحمه على عظمه .. شعر آنذاك بأن السوط يقتلع ضلوعه .. وقرر الهرب لكن .. الى اين ؟ لا يعرف احدا .. غير ان عذاب القرية شديد .. لعن كل شيء ويندم اليوم لانه لم يسرق نقودا من زوج أمه كي ينعم بها هنا في المدينة .. حار عند وصوله المدينة . قال بعد ان خرج ذات يوم من محل يطلب العمل فيه وكان عمره آنذاك عشرين عاما (هنا لا يعمل الا من كان قد درس .. انا لا اعرف أي حرف !!) يذكر ايضا النداء الذي كان يلهب ظهره ويحرق اعصابه باستمرار أيام نومه في الشوارع عريانا .. وعثر على عمل .. وطرد .. ثم عمل .. وطرد

وهكذا .. الى ان وجد هذا المطعم .. لكن اجره زهيد .. فضل هذا على الموت جوعا أو التسول. ولكنه اليوم وبعد أن اصبح عجوزا كهلا أصيب بخيبة مريرة .. انهم يهينونه . بصق ثانية وهو يقوم بقلي اللحم لاحد الاثرياء الذين جاءوا الآن يتناولون الفطور .. قال لذاته :

ـ الملاعين . لايفطرون الا بعد الحادية عشرة .. متى يتناولون الغذاء ؟ الخامسة بعد الظهر ؟ والعشاء ؟.. العاشرة او الحادية عشرة ليلا .. تفه .. يا للعار !!

أهان وانا كبير السن !؟

شعر بالمرارة تقتله وتحيله الى عدم . مرة اخرى نظر الى اللحم الذي يقليه. راودته صورة القطة وهي تموء طالبة الاكل فاختلس نظرة صوب صاحبه فرآه مشغولا يناول الثالث صحون الطعام، فاستل ثلاثة أو أربعة قطع ودسها في جيبه بسرعة . أحس بها تسلق لحمه .. لكنه شعر بلذة غريبة .. تظاهر كأن شيئاً لم يحدث، راح يصفر لحنا ورائحة اللحم تسد أنفه .

* * *

في الساعة الواحدة ، بعد ان ناول زميله صحنا من الحساء ليقدمه لأحد الزبائن ، وبينما كان يصب الفول الاخضر في صحن ثان ، سمع صراخاً عنيفاً يدور بالقرب من المطبخ ولمح النادل وهو يهرول كأن حريقا شب بالمطعم .. أطل

رأسه واذ بالسيد الكبير يهدر كالبحر لحظات العاصفة ، الزبد يغطي شفتيه الغليظتين وهو يصيح :

ـ أين هو هذا اللعين محمد ؟ اين هو الشيخ الماكر اللعين ؟

شعر بقلبه يهبط داخل هوة سحيقة فتساءل : ترى ماذا حدث ؟

ـ نعم سيدي !

ـ ايها الخنزير .. ذبابة ؟.. الله اكبر .. ذبابة ؟.. وفي حساء حامد بك ؟.. الله اكبر في صحن حامد بك وليس غيره ؟.. اخرج يا خنزير الاثم !! انت مطرود انت مطرود .

اختلط الامر بذهن محمد .. حاول ان يعيد صورة الرجل الى ذهنه بينما هو يسير في الشارع المبلل .. ثم تلمس ذقنه .. الشعر الخشن يذكره بالقنافذ أيام كان يصطادها في القرية ويداعبها . تذكر القطة . فتحسس قطع اللحم .. غير أن صورة القرية المشوشة عاودته فاهتز الاطار من امامه .. وهو يخطو ببطء شديد اذ شعر بتخاذل ساقيه .

* * *

بعد عشرة ايام .. طرقت ربة البيت باب الشيخ .. وعندما لم تسمع جوابا طرقته .. لم تسمع جوابا .. دفعت

الباب لكنها صرخت فهز صوتها اركان البيت بكامله ٠ اجتمع الناس حول جثة الرجل الهامدة ٠٠ وقطة بيضاء صغيرة تموء بصوت أشبه بالعويل وهي تدور في أنحاء الغرفة وخاصة حول الجثة الهامدة ٠٠ عيناها يعلوهماسيلان ابيض ٠٠ سمعت القطة بحزن واسى صوت ربة البيت :

ـ لقد ذهب ايجار هذا الشهر ٠٠ ذهب ٠

* * *

الظلام غزا المدينة ٠٠ القطة تتسلل بهدوء وخفة الى المطبخ ٠٠ نقلت نظراتها بسرعة في كل أرجائه ٠٠ وأخيرا استقرت نظراتها عند صحن مملوء باللحم ٠٠ قفزت بمرح ٠٠ حكت أنفها بهدوء ٠٠ دنت من الصحن ٠٠ وضعت القطعة بين أسنانها ٠٠ التفتت عيناها المدورتان تلتمعان وهما تبحثان عن مأوى ٠٠ انسلت من الباب ٠٠ بكل حيطة ٠٠ خفها لايكاد يلمس الارض ٠٠ نزلت السلم ٠٠ وصلت الباب المسود بالرسوم الطباشيرية ٠٠ شيعته بنظرة حزينة خاطفة ٠٠ وتلقفها الزقاق المعتم ٠٠ صلبت ظهرها ٠٠وقوست ذيلها الارقط ٠٠ وانتحت الجدران ٠٠ تسير بخفة وصمت ٠٠ ثم مالبثت واللحمة بين اسنانها ان اسرعت ٠٠ تبحث عن جحور جديدة ٠٠

وفي أثناء ذلك كانت ربة البيت تصرخ مولولة :

ـ هرته اللعينة سرقت اللحمة ٠٠ الا يكفينا ان ايجار البيت ذهب ٠٠ لعنة عليه وعلى قطته السارقة !!

المتسوّل والكلب

« من مال الله .. حسنة لله .. » .

لا أحد يجيب .. ليس من يخرج تلك القطع اللعينة ويدسها في يدي ذاك المتسول الكسيح .. « ويحهم .. أين هم ؟.. أين ذهبوا ؟ والسبحات التي يحملونها .. لماذا ؟.. » .

الشمس تشرف على المغيب .. عنقها وضع على المضرب .. بان الدم المسفوح يلطخ الافق . ويزحف الرجل الكبير صورة تتكور أمامه تخفي الزحام الممتد حيث تغيب الاقدام الجارية من رؤيا ناظريه ..

انه يسير .. ساقاه سليمتان .. بل يعمل أمام احدى الآلات .. يصفف لهـا الخيوط .. يجمع النسيـج . والضجيج .

ـ ضجيج الآلة يصم اذنيه .. ذاك العامل يشير له .. ويقفز .. انه حتى يقفز .. كل شيء فيه سليم .. يسمع صديقه :

ـ سأتزوج ...

يجيبه بمرح :

ـ مبروك ـ

وسمع الزميل يتفوه بكلمات طغت على كل ضجيج الآلات :

ـ متى نفرح بك ؟

« أوه .. هذا اللعين كأنه أعمى » .. قدم ركلته .. قدم شاب عملاق .. طويل طويل .. يرتدي بذلة انيقة .. شعره يلمع بغرابة وأضواء النيون تنعكس عليه ..

واستمر :

ـ من مال الله .. الله يعطيكم .. الله ...

كلماته أضحت مطاطية « لا أريد .. لا أريد .. لافائدة .. ولكن معدتي خاوية .. هذا اليوم طفت المدينة .. كل المساجد والكنائس .. ولا من محسن يمد يده لي ـ آه ـ ليتني أعثر على النقود التي تستطيع أن تشفيني .. » .

وتنهد ثم تمتم « منذ اكثر من ثلاثين ـ بل اربعين عاما وانا أمني نفسي بذلك .. هباء .. » .

عيناه السوداوان تراقبان المارة « ما أسعدهم ليتني أستطيع السير مثلهم .. بل ولو بساق واحدة على الاقل » .

الريح الباردة تصفع وجهه المتسخ .. وشعر لحيته

يتراقص حقلا قطنيا .. ومرت من امامه صور كثيرة .. صورة واحدة كانت عملاقة .. تملأ عينيه رعبا .. وتزيد دقات قلبه خفقانا .. وتثلج احساساته وحيويته بل تهدىء من زحفه السريع اليائس .. الكلب اللعين .. لا ينبح على أحد سواه .. انه أسود كبير « ليته يموت .. ليته يموت .. » تمتم وقد توقف يقلب راحتيه السوداوين المتشققتين .. أحد المارة يحدق اليه بعين فيها رثاء . أشاح المتسول بوجهه عنه وهو يحدث نفسه « لو كنت مثلهم لما نظرت الي هكذا .. ترثيني ؟ شكرا لشعورك ولكن .. الا تفعل شيئاً ؟ » عاودته صورة الكلب الاسود ففكر أن يصيح على أحد المارة .. ذاك العملاق الاسمر الفولاذي الذي يطرق الارض بقدميه وكأنه يهتف « لا أحد سواي هنا » .. يصيح عليه ويطلب اليه قتل الكلب .. لكن ذاك :

ـ هه .. أتريدني أن أقتل كلبا ؟..

ـ نعم يا سيدي .. انه يهاجمني كلما مررت من هناك .. صباح مساء ..

يهز كتفيه ، يفتل .. يشيعني بنظرة متعالية ويقول :

ـ لو طلبت مني قتل ذبابة لما فعلت .

ـ لماذا ؟.. لماذا ؟..

يغيب الشاب في الزحام المتدافع المسرع .. « ايه .. لاذهب » .. وراودته فكرة أخرى .. ان يلف من الشارع الثاني الطويل كي يتحاشى الكلب .. ان شعوره اليوم

يختلف عن ذي قبل .. الكلب اللعين سيهاجمه .. حتما .. اذن لماذا هذا الشعور وهو منذ سنوات ينبح عليه فحسب ؟ ولا يجرؤ على الهجوم .. «آه هذا اللعين ألم يهرم ؟ ألا تموت الكلاب ؟ » .

ـ حسنة ياناس .. لله .. لله .. قطعها . تلك الفتاة تقضم الحلوى .. آ .. ماذا يذكر من صباه ؟ .. تلك الليالي التي قضاها عاريا ؟.. (يتفرجون عليَّ أثناء النهار .. ربما يرضي بعضهم غريزته عندما يحدق طويلا الى عورتي المفضوحة .. بعضهم كان يشعر بأن عليه ان يدفع ثمن مضاجعته الفاسقة ولو بعينيه .. يناولني قرشا .. ومرة .. يا لها من ذكرى !! فتاة حدقت اليَّ من الامام طويلا .. كنت أين ياتعس ؟؟ آه تذكرت .. عند السور القديم عاريا تماما .. حدقت طويلا .. حتى شعرت بشيء ينمو في احشائي .. اشياء تدب في ظهري وبين ساقي وهي بعين جريئة تتفرسني من رأسي الى قدمي الحافيتين المشوهتين .. ايه) .

اقترب من المكان بعد ان حارب فكرة الطريق الطويل الملتوي لانه لا يستطيع .. لا يتحمل ذاك الدرب .. لايقدر على السير المضني الفارغ ـ بل الزحف الفارغ .. ثم قد لا يؤدي ذاك الدرب الى غايته . تململت في اعماقه رغبة ان يرقد مكانه حتى الصباح ولا يعود الى طريق الكلب الأسود اللعين، لكنه فكر « أ أنام هنا في العراء وباستطاعتي أن آوي الى ذاك الحجر الدافىء في البيت الخرب القديم مع

بعض الزملاء ؟.. أحادثهم على أقل تقدير .. » ود لو يعثر على عصا طويلة يستطيع بها ضرب الكلب ان هاجمه (تفه . حتى الكلب أقوى مني ويستطيع الهرب والهجوم .. يقدر أن يعدو وانا لا أقوى حتى على النهوض .. لماذا خلقتني يا الهي ؟ لماذا ؟ ألهذا العذاب ؟ تفه ــ أهذه عدالة السماء ؟ كلب يركض .. يأكل .. يهاجم الناس .. وأنا لا أستطيع أن أتناول كسرة خبز أو حتى مكالمة امرأة ؟ حتى ياسمين العمياء تزدريني :

ــ اخرس يا عجوز النحس ..

ــ لماذا يا ياسمين ؟

ــ أنا سليمة وسأتزوج من محمود فقد نستطيع العيش ...

ــ وأنا يا ياسمين ؟

ــ أنت ؟ هه .. هه ماذا تريدني أن أفعل ؟ أن أقضي الليل والنهار أخدمك وأحاول اطعامك والباسك ؟

لها الحق ــ كل الحق .. محمود قوي . لماذا يتسول ؟ يا له من كسول .. لو كنت مكانه لاشتغلت بأي شيء ولا تسولت وان مت جوعا) .

الظلام يغرق المدينة .. الطريق ينحسر امامه .. الماء يبرك في بعض الزوايا وعليه ان يتجنبه والا أصيب بالبرد .. انه يدنو من مكان الكلب الاسود .. الاضواء الشحيحة تنير أمامه سبيل الطريق .. (كل الابواب مغلقة .. كل الابواب

مغلقة .. انهم يتناولون العشاء .. ربما دجاج .. أو سمك أو ـ لست ادري) . أصوات عويل الكلب تطرق مسمعيه .. (اللعين يتهيأ والطريق خال من المارة ولن يقدم أحد لي يد العون .. علي أن أدافع عـن وجودي ـ هذا الوجود التافه ـ لا أريد أن يقضي كلب علي .. لست أريد .. لا أريد بحق الاله) .

« عو .. عو .. عو » .

الكلب يحدق اليه من بعيد .. عيناه الكرويتان تلتمعان بريقا يخدش السكون الذي يمكن ان يشعر به المتسول .. (لا تتقدم ايها الكلب اللعين . ها هي ذي حصاة ألقمه بها) تناول حصاة صغيرة . الكلب يحفر الارض بمخالبه ويصرخ .. يصرخ وصرخاته تحز قلب المتسول بسكين يشعر بأنه يهوي في هوة سحيقة لا قعر لها « عو .. عو .. عو .. » تقـدم الكلب دون حذر .. المتسول يتوقف :

ـ يا محسنين .. يا ..

(لا يجدي هذا) ألقى الحصاة عليه بقوة .. أخطأت الكلب .. ازداد الكلب ضراوة وتقدم بسرعة .. لسانـه الاحمر يتدلى .. أنيابه الطويلة تبرز قرب عيني المتسول الذي قدم يديه محاولا صفع الكلب او خنقه . أقدام تقترب « عووو » الكلب يقفز على رأس المتسول ـ عبثا تحاول يداه صده . انفاسه يحسها الرجل تحرق وجهه .

ـ يا للشياطين السود !.. أيها الناس .. أين انتم ؟

وشرع يزحف هاربا . الكلب ينهش ملابسه القذرة . (لا بد من الدفاع .. انه سيعريني .. سيقتلني) استدار نحو الكلب (ياي .. عيناه جمرتان متقدتان تحرقاني) . أمسك برقبته .. أحس بأصابعه تغوص بين ثنايا الشعر الدافئة أنياب الكلب تطبق على احدى يديه (آه .. يا ناس .. من أجل محمد انقذوني .. قاتلكم الله) .

(طب) ! ضربة على بطن الكلب .. ارتخت كبسة انيابه « عووو » . الكلب يتراجع بذعر للصدمة العنيفة .. يرفس الارض بأقدامه .. ثقل يحسه المتسول على كتفه وانفاسه تتلاحق . الكلب اللعين عاد فقبع في زاويته (يهمر) ويشخر، لسانه الاحمر يتدلى .. لهاثه يتدافع .. (آه .. أن يدي تؤلمني) ؟

ـ يا عم ؟؟

من هذا ؟ رفع عينيه .. شاب يبتسم له .. يمد يده .. يربت على كتفه ؟ :

ـ شكرا يا ولدي .. شكرا ..

ـ لا تخف يا عم .. هل تناولت العشاء ؟

(يا لها من ليلة لطيفة .. لن اتناول الطعام .. لن املأ معدتي عند هذا الشاب .. يكفي انه انقذني من الكلب اللعين) .

ـ تناولت يا ولدي .. شكرا جزيلا .. لاشيء يزعجني سوى هذا الكلب الخنزير .

مرة اخرى انفرجت شفتا الشاب عن ابتسامة مؤثرة حية ربت على كتفه وهو يهتف محدقا الى الكلب :

ـ لن يزعجك ثانية .. ثم ليس هو كل ازعاجك .. عجزك هو ايضا سبب آخر .

(أصحيح ما يقول ؟) ـ الشاب يقف فوق رأسه .. الكلب وضع رأسه بين ساقيه واغمض عينيه . لسانه الاحمر يتدلى متأرجحا .. لهاثه يزداد .. عينا المتسول اتجهتا نحو البيت الخرب .. رمق الشاب بنظره ..

الشاب يقف بهدوء :

ـ اتبعني يا عم .

ـ ولكن من أنت ؟

ـ انا .. انا .. ابن زقاقك .. سمني ما شئت .

وتبعه الى الامام .. الكلب هدأت انفاسه .. أغفى .. المتسول يزحف بنشاط .. عيناه تنعكس في حدقتيهما الاضواء .

ثلاثة فقط

نعلها يئن تحت وطأة قدميها .. كانت واقفة في الظل .. شيء غريب تحسه يسري في رجليها .. « لعل الدم قد تخثر بركبتي » همهمت ذلك والضجيج يتراقص من حولها .. بعنف طفولي « الي .. هيا .. الي » اصطنعت شبه ابتسامة حول ثغرها الرقيق المزرق « لماذا الضجيج ؟ » .. ثم القت بنظراتها الى الصبية « ما أسعدهم ! » وتحركت يدها اليسرى تزيح خصلة الشعر التي تدلت على جبينها تزيده ظلا .. ونظرت الى قبضتها اليمنى ... تطبق على شيء .. فكرت « المهم انني لم أضع النقود ... والا لكانت الطامه .. خمسة وثلاثون قرشا » .. مرة أخرى ترامت نظراتها لتلتطم بالحرير الصارخ الالوان .. بالوجوه المشرقة .. بالثغور الضاحكة ... بالاقدام الجارية المسرعة .. بالايدي الملوحة .. عند ذاك تطلعت نحو السماء « ياه .. ان الشمس تقارب ان تصبح عامودية .. لقد خرجت عندما كانت حورياتها على

وشك الخروج من البحيرة .. بعد ان اغتسلن .. » .. شعرت بغصة تكاد تخنقها .. لقد خرجت منذ الصباح لتبتاع الخبز .. ولكن ..

« هؤلاء الملاعين .. انهم يرفضون ربح اليوم .. هه .. عيد .. هه .. » .. مرة أخرى راحت تراقب الصبيةأحدهم يمضغ .. يقضم .. والثالث يمد يده بالنقود لبائع الحلوى .. رددت : « ما الفارق بين الامس واليوم ؟!. الشمس هي الشمس .. المدينة هي المدينة .. والناس هم الناس .. » . ودت لو تحركت .. لكنها تخشى شيئا .. غرست عينيها في السماء .. تلاشت آنذاك أصوات الباعة .. ومات ضجيج العيد لترتسم امامها في الرقعة الزرقاء .. الصافيـة .. صورة ..

ترتدي ثيابا مزركشة .. زاهية الالوان .. شعرها مصفف بلباقه .. تتهادى في الشارع .. الشاب ذاك يبتسم لها .. « انه يحاول كسب رضاي وحبي .. انني جميلة .. ألم تقل فاطمة امس عندما دخلت بيتهم بأنني لو ارتديت ثوب عيدها لاصبحت أجمل فتاة في المدينة ؟.. ماهذا ؟ » .. كان قد لطمها طفل وهو يعدو. تناثرت النقود من يدها بين أقـدام الزحام الممتد امامها بلا قرار ..

ـ يا ويلتي !!. ذهبت النقود .. ابتدأت التفتيش « ها هي ذي قطعة العشرة قروش .. اوف .. قدمك يا أخي

.. وهذه القطعة الاخرى .. لا .. لا .. عال . هذه عشرة أخرى .. بقيت قطعة الخمسة قروش .. اين هي ؟ » راحت تبحث بين أقدام اللاهين .. الفرحين .. ابعاد الزمن ذابت بين وقع أقدامهم .. شعرت الفتاة بتمزق في أحشائها عندما يئست من العثور على القطعة .. وانكمشت كقطة فشلت في اقتناص « فأرة » .. وقفت .. الحيرة تتجسد في محياها .. « العقاب سيكون صارما .. ويلي .. ويلي » تمتمت ذلك .. نظراتها لما تزل تبحث عن القطعة المفقودة .. خيل لها انها عادت الى البيت :

ـ اين الخبز يا بنت !؟

تلكأت .. تلعثمت ..

ـ لم ... لم .. أجـ .. د .. لم أحصل ..

الغضب يطل عملاقا عربيدا من زاويتي عينيه :

ـ لماذا التأخير اذن يا ابنـة الساقطة ؟؟

ثم تناول عصاه الممددة الى جانبـه .. افعى تسعى وصرخ :

ـ ثلاث ساعات .. ثم تعودين بلا خبز ؟.

الدمع يكاد يطفر من صدرها :

ـ والدي .. أبتاه .. انهم لم يخبزوا هذا اليوم .. انه عيد .. عيد .. عيد ..

ـ تعالي يا بنت الكلب ..

ـ عفوا يا آنسة !!.

سمعت هذه الكلمات .. تطلعت نحوها .. شاب ارتطم بكتفها بخفة .. فاعتذر .. « هذه كلمات رقيقة .. ياه ليتني أجد من أجد عنده الحنان .. » قالت ذلك بينما ظل الشاب يرمقها بنظراته كأنما برثيها .. ودت الفتاة لو حيته ..ولكنها لم تستطع العثور على الكلمات المناسبة ..

اشرأبت نظراتها الى الايادي تخرج النقود : يا لهم من مجانين !!. الفرق بين أناس الامس واليوم هو الجنون .. انهم يبعثرون النقود .. وانا لم استطع شراء .. جوارب .. أو حتى حذاء .. لو كنت رجلا .. ماذا أفعل ؟.. ولكني امرأة !. امرأة ؟.. فكرة جميلة .. امرأة من قال ذلك ؟.. ولكني جميلة آه .. ليتني أستطيع الهرب في هذه اللحظة من العقاب الذي ينتظرني .. العصاة اللعينة .. لو استطيع حرقها .. لماذا لا اسرقها فانتهي منها ؟.. ايتها الوالـدة الطيبة !!.. ولكنكلا تستطيعين شيئا .. ايه !! » .. شعرت بدبيب نملي يحبو في ساقيها .. ولكنها عاودت « الملاعين .. لماذا لم يخبزوا اليوم ؟.. كي يصبح العقاب صارما .. مضاعفا ؟؟ .. ليكن .. كيف !؟ .. لم اعد احتمل .. لم اعد احتمل ! » تراجعت الى الظـل ثانيـة .. وتفحصت « التنورة » التي ترتديها « ربما مياه هذا البحر كلها لا تستطيع ان تجعل منها نظيفة .. انني ألبسها منذ .. منذ متى يا انيسة !؟ .. آه .. منذ امد بعيد .. بعيد .. ماذا كان لونها ؟.. أبيض .. ولكنها الآن .. زرقاء .. حمراء

.. بل سوداء .. ماذا يهم ؟ » ..

ذاك الشاب الذي ارتطم بها تعود صورته الى رأسها « ليته يعود .. ليته يعود .. » .. قالت ذلك وهي تعيد النظر في القطع النقدية الثلاث بيدها اليمنى .. تحسست كتفها وتمتمت « ليتني أستطيع تقبيلهما ! » عادت صورة والدها المزمجرة .. المكفهرة .. ولكنها طردتها من ذهنها.. وتطلعت صوب الشمس ثانية .. « لقد ذهب الوقت ... ازدادت العقوبة » ..

وجهها المتورد الاسمر يشع خوفا .. عيناها العسليتان قلقتان .. « ماذا لو جمع هؤلاء كل النقود التي يصرفونها .. كلا ليست كلها .. نصفها .. ووهبوها لي .. ماذا أكون ؟.. عظيم ..

ـ يا آنستي الحلوة يا بنيتي العزيزة .. جاء « فلان » .. وطلب يدك و ـ قاطعته ـ

ـ انت تعلم بأنني أرفض الزواج الآن ..

ـ ولكنه أستاذ يابنيتي العزيزة ؟

ـ ليكن ـ لا أريده .. لن أتزوج الا من ... من « دكتور » ..

علت ثغرها اشراقة وردية شفافة .. لكنها ما لبثت ان تضاءلت .. حتى اختفت « حتى الخمسة قروش قد ضاعت » .. هتفت وهي واقفة .. فكرت « أأعود ؟.. اوف .. العصاة الملعونة .. العقاب .. العقاب الصارم .. ليت المدينة

كلها تحترق .. فكرة عظيمة .. مدهشة .. اذن لنجوت من العقاب .. من السباب والشتم ليحترق الخبازون الملاعين كما يحترق رغيف الخبز المهمل في زاوية الفرن .. انه يغدو أسود .. فاحم اللون .. تماما كرأس العصاة الزفتي .. » .. خطت للامام خطوتين .. فدنت من حافة الشارع .. ثم عادت تبحث بيأس عن القطعة المفقودة .. وخيل لها أن أحدا قد فقد محفظة نقوده وانها وجدتها .. مليئة بالليرات .. ستعود الى والدها .. لن يعاقبها .. بل ربما ابتسم « كم أود لم يبتسم .. ولو مرة .. انه دائم العبوس .. كالبحر .. كلا .. كلا .. اذ ان الامواج تهدأ في كثير من الاحيان .. يا للوقت كم يسرع وانا واقفة هنا .. لا حراك ؟ » .

فكرة العودة تصارعت مع فكرة العثور على قطعة النقود .. انتصرت الاخيرة .. ثم كان أملها أن تسقط قطعة من هؤلاء الذين « يبعثرون أموالهم اليوم .. » .. عادت الى الوراء .. الى الظل .. واتكأت على الجدار الصخري القديم .. ثم استعرضت جولتها هذا اليوم .. طافت المدينة كلها بحثا عن الخبز .. في حين قال لها والدها :

ـ أنيسه .. اشتري الخبز .. وعودي بسرعة .. والا .. ـ وسرت في بدنها قشعريرة .. وفكرت .. « ما هو العيد !؟. تعسا للمدينة .. للخبازين لوالدي .. لوالدي الذي سيبلل وجهي بصاقه .. اوف .. يا لذاك

الطعم الكريه للبصاق .. كله دخان كم يكلف الدخان الذي يحرقه ؟.. انه يحرق النقود من أجل أن يستهلك الزمن .. والزمن هو الذي يستهلكه ويستهلكني أيضا.. ليت الشمس تغرب .. وأهرب .. الى بلاد ليس فيها أعياد ..ليس فيها نقود.. ليس فيها آباء على الاطلاق »..

أعجبتها الفكرة .. فحلقت بعيدا .. البساتين الخضر .. القطوف الدانية .. لا مسؤولية .. تسير كحورية .. حلوة .. عذبة .. ملابس حريرية شفافة .. تداعب هذا البلبل المغرد .. وتلمس تلك القطة الملساء الناعمة .. تقطف عنقود عنب تتناول حبتين .. ثم تلقيه أرضا .. لتلتقط التفاحة الكبيرة الحمراء تلك التي تتدلى من على غصن انحنى يقبل الارض .. ولكنها استفاقت على أصوات صاخبة : كانت سيارة « تزمر » باستمرار .. صمت أذنيها: لماذا هذا الصوت المزعج ؟.. لماذا يتواصل الحبل ؟.. تماما كزعيق والدي وهو يضربني بتلك العصا الغليظة الملعونة؟».

ـ الله .. انها بنت كلبة ..

العقاب صارم .. سأقتلها ..

ترددت كلمات والدها في اذنيها .. بعد ان رفعت يديها عنهما .. كورت اليسرى .. فتحت اليمنى ..

وضحكت .. بأعلى صوتها .. قهقهت :

ـ انظروا .. نقود .. ثلاث قطع نقود .. انظروا .. صاحت هذا .. ثم ألقت النقود .. نثرتها بين الصبية..

تراكض الاطفال .. انها تراقبهم .. فاز بالنقود ثلاثة منهم .. كان منظرا مسليا لها .. تضحك .. تضحك عاليا .. انفجرت ثانية عندما دنا منها طفل وحدق بها كأنما يطلب منها المزيد .. قالت :

ـ ليس معي نقود .. هذا أفضل .. سأرحل عن هذا البلد يا عزيزي .. ياصديقي الصغير ...

تقدم اليها الطفل .. مد يده الى جيبه .. اخرج ما فيها « آه .. ورقة نقود .. ليرة كاملة » ابتسمت :

ـ لا فائدة يا صغيري .. العقاب سيكون صارما .. استودعك الله .

ثم خطت .. صورة والدها تعلو .. متوعدة .. العصا الغليظة .. رأسها الزفتي الاسود .. النقود .. الاطفال .. العيد .. بصقت .. ثم سارت .. صورة الشاب يبتسم لها تراودها .. والدها يحاول النهوض .. ذهبت النقود .. تطلعت الى فوق .. الشمس كادت أن تغيب .. « أشعر بحاجة الى الضحك » .. ضحكت .. « دعهم يرقبونني » .. ماذا يقولان :

ـ يبدو انها مجنونة ..

ـ محتمل ..

« انني أسمعهما .. لأضحك هذا أفضل .. مجنونة؟؟. ليكن .. »

وحل

كتب كل لحظاته .. كل خلجاته .. كتب :

« الحزن الدافىء تلتحفه المدينة ، والانفاس لاتكاد تخرج من حينا الرطب المخمَّر .. في الحديقة أخال الجنادب تقفز مغتاظة نحو الشمس التي تقرصها جمراً لتستحيل الى دبابير . أظن ان اشجار الصبار قد علتها الحمرة الداكنة المختلطة بالحب الاسود الذي يحمل الخصب وأنا وحيد .. .في جحري الصغير تردد الجدران الصامتة أصداء ما يجول برأسي ، وحبات العرق تمتص من عروقي بقايا ماء ... عروقي ظامئة . عواء كلب مكتئب شق زجاج النافذة الرقيق ليطرق مسامعي ... وأنا وحيد . يبدو أن الريح تطرق الباب . لعل من الافضل لي أن أخرج لأدع الشمس تسلقني لأقفز نحوها أنا الآخر . ولكن ماذا يجدي أن أتلظى بنيران قرص الجمر الملتهب بينما أشجار الزيزفون تشمخ حيه . شجيرات الشوك في الصحارى تشكو الجفاف . بعد قليل يبرز الشفق مصبوغا بالرأس

المبتور الذي انغمس خلفه فلأحدق في الليلك حتى يبهر بصري ... لكن لاجدوى . ليس أمامي سوى الاقرار ... ان أقبع في صندوق مظلّم علني أستطيع البقاء حتى موعد الشتاء . غير اني وحيد . تركتني اللعينة بعد أن ارتوت . تركتني لصيف لايعقبه الا الخريف ... تتساقط الاوراق الذابلة والمحترقة . لاينبت غير الحنظل . عواء الكلب ثانية . أتركتك لعينة أنت الآخر ؟.. أم قالت لك كما صرخت تلك بوجهي :

ـ أنت عقيم !!.. يا ويلتي !!

سحاب الصيف .. هل ينزل المطر ؟.. والشتاء يطرق الابواب بأيد مرتجفة ولسان غلت في عروقه حكايا الحياة.. وفوق الجبل (الاقرع) تكمن أسباب الموت ... غير اني أعجب كيف أن قريتي الوحيدة تجثم عند واديه وتفترش أرضه المتيبسة . لربما الفشل أعياني آنذاك حين لمعت عينا والدي الكهل وهو يردد :

ـ ليتك ولدت حشرة !!

يمكن أن تكون الحشرة منتجة ... يومها هربت حيث الزوايا المقببة ، تقبع فيها خلايا النحل . هاجمتني اثنتان .. هربت .. جريت . احداهما تلسع رقبتي والاخرى تزرق السم بجبهتي . أوه .. هذا الحر يجمد احساسي ... لِم لا تنقلب الدورة الى مطر ؟ وتغيب الشمس .. وانا وحيد . خيبتي هي التي تجزعني ... ماذا يفعل الآن ابن الساقطة

الذي تحدث عن البقرة التي أنجبت توأمين يوم أمس ؟.. في المدينة هـذه .. على صغرهـا .. تعمر البقرة وتأتي بالخصب ، وفي قريتي المهجورة يعشعش البوم وتسيطـر الجرذان .. نبح الكلب ولكن بأسى ..

واحتواني شارع الحي الدبق . الميـاه المرشوشة تنشر روائح مقيتة. تلك الحديقة جميلة ونضرة . الشمس لما تزل تحملق بالارض بعين الغضب . جبلنا (الاقرع) يعكس الآن الشعاع فيبدو صفحة زجاج مزئبق . الصخور السود تردم الوادي الممحل . لكن هـذه الحديقة كبيرة . خضراء .. ماهذا يالروعة ما أرى !! كم هي رقيقة عذبة تلك المرأة التي تحتضن طفلها . انه يهنأ بطفولته ... لايفكر .. لامسؤولية .. وهي تغيب في عينيه . واحتاها تلفحانه حنانا وترضعانه نورا وظلا ، وترتد أقواس الشعاع المستقيمة على شعرها . ومغص يلوي معدتي .

ماذا أفعل ؟.. اللعينة صرخت بوجهي :

ـ أنت عقيم .

هاهو الكلب يفترش الحشائش المحروقة ويستظـل شجرة الزيزفون المورقة . وهي اللعينة ارتوت . أشعـر بالجوع ينهش كل كياني . الخضرة دائمة في هذه الحديقة رغم جهنمية الشمس ... رغم صفاء السماء ... رغم ان الشتاء بعيد .. بل قد لا يأتي ابدا ، فالخريف الجاحـد

يخلف الصيف • العواصف الرملية والترابية قد تطمر الخضرة ولكنها لن تستطيع ان تكسو الجبل (الاقرع) الاملس • لسان الكلب الاحمر يتدلى وقد أغمض عينيه • هو الآخر وحيد • لقد انزوى يحتمي بالظلال والخضرة وشجرة الزيزفون الكبيرة • إيه •• قال والدي عندما داهمه الشك :

ـ الدمار سيحل بالعائلة •• فأنت وحيدها !!

وحيدها ولعين عقيم • من ذا الذي يقول اني عقيم ؟ إنها هي ••• بعينيها السوداوين الكبيرتين •• بشفتيها الحمراوين الرقيقتين •• بصدرها الرماني الصلب •• وجيدها البرونزي الطويل •• بشعرها المتحد الملفوف •• لكنها صرخت بي :

ـ أنت عقيم •••

ثم صفقت الباب • تركتني خشبة يداعبها الهواء•الخيبة تغرقني • اعصارها يجرفني بدوامته السريعة • سرت ••• هذا الجدول ينعش الخضرة في الحديقة الكبيرة • السيارات تدور من حوله • الماء يتلوى كمن لكم بخاصرته اليسرى وهو يشعر بالجوع • الماء لعين •• رغم انه يجلب الحياة • ماتت شقيقتي بعد ان شربت من ماء الوادي الصخري ••• قال شيخ القرية وهو يتطلع صوب جثتها بعد ان تفحص فمها المغلق :

ـ العلق ••• استنفذها •

أعجب لماذا يمتص العلق الدماء ، وهو يدرك انه ميت لامحالة ؟ كنت أحبها .. فلقد كانت الوحيدة التي ترى فيَّ خيرا .. قالت بابتسامتها البريئة قبل مصرعها بأيام بينما السحب المحببة تتهادى فوقنا دون مطر :

ـ لولاك لما كتبت لي الحياة قط .

لماذا ماتت اذن ؟ أتحولت الى علق تشبث بحلقها وظل يمتص الدماء .. ينتفخ .. وينتفخ .. حتى الموت .. لكن العلق .. غير ـ عاقر ـ .

لماذا تنبح ثالثة ايها اللعين ؟ امض وفتش عمَّن خانتك وأرتدك وحيدا ، وان اردت البقاء في الظل الزيزفوني فثق بأن الشمس ستغرب بعد قليل ، لقد لطخ شعاعها الافق البعيد الذي يمس البحر .. ذاك السر العميق .. وانعكس نورها الخافت على قمة جبلنا ـ الاقرع ـ فبان قرصا متورد الوجنات .. تماما كوجنتي « حليمة » وهي تصرخ بي :

ـ انت عقيم ..

وماذا قالت بعد ان صفقت الباب بجنون ؟ سمعتها تتمتم بعد أن تركتني وابقتني جمادا ..

ـ ... طفل ..

طفل ؟. طفل ؟ لماذا ؟ لم أجن على أحد ! ! ويكون الطفل عقيما فتبصقه عاهرة رخيصة ؟ غير ان صدرها دافىء . كم أود لو أدفن وجهي فيه وأبلل الوادي بالدموع .. تسيل

فتستقر عند سريَّتها العاجية الصغيرة .. لتكوِّن بحيرة الخطيئة . لكنها هربت . القتني عقبلا بلا جدوى . كيف يحتملني هذا القريب الذي اسكنني الغرفة ؟.. واناعقيم !! لا أؤدي أي عمل . بل قد أجلب لعائلته اللعنة ! قال يوم وصلت اليه من قريتنا التي اصابها الجدب :

ـ انت على الرحب ، فربما قمت بعمل ما ... يعينك على الحياة .

قمت بالعمل .. عرفت (حليمة) ابنة شقيقته التي عرتني .. تريد الخصب .. ولا خصب ايها الماء .. انت تجري هكذا .. تتبدد في ارض ممحلة .. لِمَ لاتذهب الى وادينا فتزهر العروق الجافة .. يشدو البلل .. ويحني (الاقرع) رأسه فتسكب السماء خيرها .. تحطم أعشاش الغربان ؟.. لكنك لاتفقه شيئاً .

عواء الكلب يخدش مسامعي .. نهض .. نفض غبار الجلوس المضني الطويل .. صورتها تعاودني .. كم هي جميلة تلك اللحظات :

ـ لماذا هاجرت ؟

ابتسمت لها بوداعة :

ـ لم يعد لي مكان في القرية يا حليمة .. طردني والدي .

ـ ولماذا طردك ؟ ؟

شهور اربعة كاملة .. كانت سعيدة .. لكن الحنظل اللعين يشبه الى حد كبير البطيخ والخيار .. كما ان الجبل الاقرع يشبه وجهها ساعة الغضب . ماذا لو عدت الى القرية ووجدت الخصب ؟.. تفه !! لكني عاقر ! ! هذا الكلب عبر الشارع يبحث عن محبوبته .. الخائن لم يتمهل ليسمع :

ـ اذا حصلت على مرآة فلا تصدعها .. وان ابتسمت لك وردة حمراء ـ وردة الرمان مثلا .. بل خاصة ـ فلا تقطفها .

لكنه لن يسمع ، لقد غاب في زحام حنينه المتدافع الذي يلح عليه . فلهيب سياط الشمس جعله جنديا هو الآخر . قد يحيله غدا الى دبور .

وانا لسعتني النحلتان . لو أنني اصبح يعسوبا ؟! كم احب ذلك ! سأطارد الملكة .. اطاردها .. أقبض عليها .. يتراجع الباقون .. أختلى بها .. بعد هذا ليحدث ما يحدث .. المهم ان يرحل العقم اللعين .

كيف يرحل اذن ؟.. بالجلوس ؟ إيه .. حتى الكلب تحرك ! !يجب أن أقوم بعمل ما ؟! ماذا أفعل ؟ أعقيم انا ؟. هي قالت ذلك !! والدي أيضا . كيف علما ؟ والبرهان؟انني لا أجده !! لا بد من وسيلة . كيف تكون البقرة خصبة وانا عقيم ؟ السبب !! لا أعلمه ... من هي لتحكم ؟.. من هو والدي ؟.. بل .. من هم الناس ؟.. الكلب تحرك .. لم

يرعبه الظلام الذي ناخ على صدر المدينة !! » .

كتب هذا .. وبعد مدة كتب :

« العرق يتفصد من جبهتي رغم المطر .. عدت هذا اليوم الى القرية بعد عمل شاق طويل .. استقبلتني زوجتي بابتسامة كشمس دافئة اطلت من بين سحابات سوداء داكنة . يا لروعة الخبر . لست بعقيم !! أأقفز كالبلبل الشادي بين الاغصان !؟ أأقبل حجار القرية ؟.. أأصعد الى قمة الاقرع؟ لاقهقه .. لاصرخ عاليا .. لست بعقيم .

ضحك والدي وهو يتمتم :

ـ صحيح ان الرجل .. رجل

ومرت من أمامي صورة الباب يصفق ويهدر صوت اللعينة :

ـ انت عقيم .

فسرت في أوصالي هزة مرحة .. وسمعت صوت قيثارة هناك في اعماقي . ولم اقفز .. ايقنت ان الجنادب هي التي تقفز رغم أنها خصبة . تطلعت صوب زوجتي الصبية التي احنت رأسها وهي تقول :

ـ أنا .. حامل ..

تحسست جيبي .. النقود جاهزة .. استلمتها اليوم . سأعود غدا الى المدينة واتسلل الى الحديقة .. اذكر اللعينة .. ان رأيتها سأصرخ بوجهها :

ـ انت العقيمة .

ولمحت (الاقرع) !. لقد أحنينا رأسه .. وطمرناه خضرة دائمة.. اما المياه الجارية فلم يعد فيها .. علق !! ».

وهكذا ... رحل ..

* * *

الظل المتحرك

لايستطيع تحمل ما يشغله منذ ايام عديدة .. انه لاينام الا سويعات يسترقها من خلال الضجة القائمة في داخله.. احساس غريب يكتنفه .. يشده الى بئر سحيقة بلا قعر .. ينطوي .. صفحة مزقت من مجلة كبير اتى عليه الدود الشره وراح الغبار يطمره .. تلك الحدائد الضخمة تدق برأسه مسامير تمزق كل هدوء يمكنه ان يحصل عليه .. الوقت ليس معه ..

تطلع الى حزمة الضياء المنبعثة من خلال الشق الجانبي للنافذة الغربية الصغيرة « هناك ذرات كثيرة تتطاير بين خيوط الحزمة المتسللة .. » .

مسح العرق عن جبهته بساعده الاسمر .. العمال منتشرون حول الآلة الكبيرة .. سؤال عملاق يقفز امامه فتتلاشى كل المرئيات من حوله .. يكورها الضجيج الذي تحدثه الآلة. حبات العرق الملتهبة تلسع جبهته ورقبته .. الشمس تصلي ظهره .. تستحيل الى شرنقة معتمة ..

ماذا سيحل به ..

شعر بتيبس في حلقه كأنه دهن بالسخام كما كان يحدث عندما اعتاد أن يصفف خيوط النسيج أيام شبابه .. وهو يجلس اما بيتهم في القرية الجبلية .. هتف :

ـ كم كان الالم حينذاك لذيذا ..

عامل من رفاقه يصيح به .. عرف ذلك لان العامل لايتكلم بل يصرخ .. يعاند ضجيج الآلة .. بصق وهو يشنف اذنه كي يسمع .. لكنه لم يستطع تمييز كلمات رفيقه .. صاح :

ـ ضجيج هذه الآلة اللعينة يخنق الصوت .. يصم الآذان .. لا أستطيع أن اتركها ، احدى يديَّ يجب أن تمسك بخيوط النسيج .. حتى أنها تصلبت !!

اشار بيده اليسرى للعامل الذي تغلب صوت الآلة على حركاته فطمس معالمها .. تقدم :

ـ الخيوط !!

وعجب .. ماذا حدث للخيوط :

ـ مابها الخيوط ؟..

ـ انظر ! !

اشار رفيقه نحو يده .. لم يكن أيُّ خيط بين أصابعه .. أدرك الامر .. هتف :

ـ اوقف الآلة .. سأذهب لأجلب لها شلل الخيوط !!

أجابه رفيقه بلهفة :

ـ حسنا جدا .. بسرعة .. لئلا يحدث ما لم يكن في الحسبان ..

برم .. صخب الآلة يخفت .. إيه .. لم يعد يميز الهدوء من الضجيج .. لعله بدأ يعتاد الصخب .. سار على مهل .. بينما العامل يصرخ :

ـ حسن .. بسرعة يا حسن .. هيا ..

خطا وهو يدمدم :

ـ ابن ساقطة ذاك الذي صنعها !!

فتح الباب الجانبي .. شعر بثقل المسؤولية .. دخل الممر الضيق .. تلاشى الصخب .. سمع صفيرا ووشوشة يغرقان سمعه .. تقدم بهدوء وقد عاوده السؤال .. ماذا سيحل به ؟..

رسم الرجل الذي يقف امام مخزن الخيوط على ثغره الازرق ابتسامة عريضة عندما شاهد حسن يقبل متمهلا وتساءل :

ـ تريد خيوطا .. أليس كذلك ؟

أجابه حسن بتأفف وسخرية :

ـ سيدتي .. الصماء .. النهمة .. تريد ذلك !

عجب الرجل وسأله :

ـ من هي سيدتك هذه ياحسن ؟

ـ الآلة طبعا ياعزيزي !

ـ هذا كان قديما ..

ـ بل وفي كل حين !!

ـ كلا ياحسن .. نحن الآن أسيادها .. بل أصحابها أيضـا .

ـ مثاليات مللتها .. إنني جترها صباح مساء .. احاول اقناع نفسي بها لكن للاسف !! دخلا المخزن .. الخيوط متكدسة من القاع حتى السقف .. آلاف الشلل ..عشرات الالوان حتى ان حسن لم يعد يميز أي الالوان يريد .. سمع رفيقه آمر المخزن يستفسر :

ـ ما الذي لا يعجبك يا حسن ؟..

التفت صوبه .. كل يوم هذه الاسطوانة .. لقد مل كل شيء .. قرف حتى من نفسه ..

ـ يا أخي ما هي اللذة التي احصل عليها من مجردمسك الخيوط ؟.

صمم آمر المخزن على شيء . شعر بأن حسن يفقـد الاحساس كله .. لكنه لم يلمه مع ذلك .. يعرف جيدا أن حسن اعتاد ان يتلذذ بمنظر متر القماش الذي كان ينسجه ايام الآلة الخشبية الصغيرة في القرية .. انه تماما كصانع الاحذية .. او مؤلف كتاب يجده متعة ولذة غريبتين عندما يفرغ من عمله ويرى انتاجه .. قال بهدوء :

ـ تعال معي ياعزيزي حسن !!

ـ الى اين ؟. ان الآلة بالانتظار !!

وبهدوء مجبب اجابه :

ـ انظر الى معصمك .. الساعة الثانية يا عزيزي .. لقد انتهى الدوام ..

حدق حسن بالرجل .. رغم انه يكاد يتقيأ شعر بشيء من الارتياح .. تنفس بعمق وقال بصوت خافت :

ـ حمدا لله .. انتهينا !!

ضحك رفيقه :

ـ وأيم الله انك شعرت بشيء من الراحة ..

ـ ومن قال غير ذلك ؟

ـ عظيم اذن .. الراحة نوع من اللذة يا حسن !

حدق حسن بالرجل ثانية .. أهو يستغفله تماما كتلك الآلة اللعينة .. صحيح أنه شعر بالارتياح .. ولكن ..

ـ يا اخي ان هذه الراحة ليست لذة كتلك !!

حدث آمر المخزن نفسه « لقد وقع حسن بالفخ .. انه يعترف .. بدأ يلتقط حبات الطعم » وصاح به كمن وضع حدا لنقاش :

ـ هذا هو الموضوع .. قتل حب الذات !

استغرب حسن .. وود لو يتقيأ .. تساءل :

ـ منذ متى أصبحت فيلسوفا ؟

ضحك آمر المخزن :

ـ لست بفيلسوف .. انما أجبني على هذا السؤال ..

قبل ان يسأل رمق حسن بنظرة .. اما حسن .. « أوه .. انه يريد ان يمتحنني هذا المغفل .. ماذا يفعل ؟.. لاشيء .. مجرد الوقوف امام شلل النسيج ينتظر ان تطلب السيدة العظيمة البكماء قليلا منه .. لاجوده .. لا انتاج . لا مهارة » .. ثم هتف بضجر :

ـ تكلم !!

تقدم رفيقه .. امسكه من يده يسحبه خارج الغرفة بينما العمال يخرجون وهم يتحدثون من خلال الممر .. قال آمر المخزن :

ـ هل تحب بقية العمال الذين يشتغلون معك .

ـ هذا لا يحتاج الى جواب « ثم اضاف بآلية » .. بالطبع أحبهم !

فرك الآمر يديه وهو يقف والاضواء تنعكس فيحدقتيه لبرهة :

ـ اجمع راحتك .. مع لذة كل منهم .. ماذا تكون النتيجة !!

همس حسن وقال :

ـ لست افهمك .. انت كمن يقول .. أضف الرز الى زيت الزيتون .. ماذا تكون النتيجة !!

شعر الآمر بالحيرة .. اعتصر رأسه .. ثم صرخ :

ـ حسنا جدا .. ألم تشعر في أي يوم وانت تنظر بآلاف الامتار من الاقمشة بشيء من الفخر والارتياح ..

أحس حسن بملل .. ود ان يخرج الى بيته حيث يغتسل ويحادث زوجته .. ويرى أولاده .. يداعبهم .. لكنه أجاب :

ـ نعم .. نعم ..

صفق الآمر بمرح طفولي .. كأنه أحد المتفرجين في مباراة انتصر فيها حليفه وصاح :

ـ وهكذا كل عامل .. هنا زالت الانانية ـ اللذة الجماعية ـ الراحة الجماعية أزالت حب الذات .. أو حب لذة الذات .. وهذا هو الفرق .. هذا هو البعد الشاسع ياعزيزي !

هز حسن رأسه وكتفيه وانفتل :

ـ لست افهمك !!

اجابه الآمر بأسف وأمل :

ـ ستفهمني :

ودعا بعضهما .. حسن يشعر بأحساس يداهمه ويكاد يضمره .. انه يخشى على مصيره. سأل نفسه وهو يخرج مع جمع من العمال بينما الوجبة الاخرى منهم تنتظر في بهو الشركة الكبير .. « أهنا تذوب الذات ؟ » .. ضحك وهو يمشي على الرصيف .. شعربشيء من الفخر .. وهمس « المعمل لنا هه .. » لكن صورة الماضي ولذته عاودتاه .. ظللته غمامة قاتمة .. كما يحدث لسفينة وسط اعصار .. ردد « أهنا تذوب الذات ؟ » تساءل ثانية : وما هي فائدة اللذة الجماعية التي حدثني عنها ذاك المغفل المندفع ؟. حاول

العثور على جواب لكنه كان يصدم بصورته وهو يحرك يديه وساقيه بخشبات الآلة . يداه تصففان الخيوط .. عيناه ترقبان رقعة القماش .. تكبر شيئا فشيئا الى ان تكتمل بعد عدة ايام .. قطعة من اربعة او خمسة امتار .. يتأملها بين يديه .. وهو يهتف لزوجته بعد ان يشدها :

ـ كم هي متينة وجميلة !!

كان يلمس بأن كل الجهد قد انتج وأن لذة الانتاج تذيب الاجهاد والتعب وحتى الالم لكنهم اليوم كثيرون الذين يشاطرونه العمل ، كلهم راضون ما عداه .. لماذا .. سأل نفسه ولم يجب .. لكنه التفت بغتة ناحية صوت أشبه بالنشيج وهمس وهو يكاد يقفز حنقا « اللعين .. للمرة العشرين أراه هنا يتقيأ ورائحة الخمرة تزكم أنفي وانوف كل المارة » .. شاب بثياب جديدة باهضة يجلس عند حافة الرصيف عيناه جمرتان متقدتان .. يتقيأ .. سأله حسن وقد نفذ صبره :

ـ لماذا أنت هكذا ؟.. أليس لديك عمل ؟

رفع الشاب رأسه .. وجهه محتقن مسود .. العرق يقطر من لحيته .. يداه تتخاذلان :

ـ أغرب عن وجهي يا شيطان الآلة ! !

ود حسن لو بصق بوجهه .. اشاح عنه وهتف :

ـ حتى الآلة أفضل منك ايها السافل !

كثيرا ما سأل عنه حسن .. اجابه مدير القسم ذات يوم :

ـ هذا الشاب غني جدا .. أبوه أحد الاثرياء القدامى .. لهذا لا يعمل .. كل عمله هو ان يسكر ويسير هنا ..

سأله حسن مستغربا :

ـ اذا كان غنيا فلماذا لا يستقل سيارة ؟

ضحك رئيس القسم وهو يقول :

ـ المسافة بين بيتهم والخمارة اربعة أمتار فحسب .. لكنه بعد ان يثمل يضل طريقه ويأتي من هذا الشارع ..

سار حسن مسرعا .. لا يدر يلماذا تطالعه صورة وزجته . لكنه التفت .. الشاب الثري لما يزل يجلس . رأسه بين يديه يحدق به بعض العمال الذين غادروا مصنع النسيج .. شعر حسن بحرقة .. اجتاحته موجة أسئلة :

ـ أصحيح ان الذات تذوب هنا ؟.. لتكون المجموع .. لتكون المجموع .. اود لو يكون هذا صحيحا .. واللذة الفردية .. هل انتهت حقيقة ؟.. والمهارة .. هل فقدتها ؟..

الآلة لاتعمل شيئا متقنا .. انها تقذف بالحرير كما يلقى الغني بفتة خبز لكلب الجيران أو .. أن ..

التفت ثانية .. لاحظ ان العمال يضحكون بعد ان تجاوزوا

الشاب الثري الثمل .. احب ان يخرج من الدوامه ...
ليشاركهم .. همس :
ـ لأشاركهم .. هذا هو المهم .. هه .. دقة ..مهارة
.. ذات .. لذة .. هه .. لست ادري ما هو الصحيح ؟..
اعلم ان هذه الآلة تستهلكني .. اشعر بأني قزم الى جانبها
..ولكن الشيء المحير ان انسانا .. مثلي .. صنعها ..

الأبواب الموصدة

Nel Ideale

الصمت يحطم اعصابي رغم ان الريح تصفر عندما تمس الامواج التائهة .. وتلك بدورها تشكل جدران قطن ما تلبث ان تتهاوى مقبلة الرمل غارسة قطراتها بين طياته لتسحبها اخرى تبعتها . رغبة تلح علي للسير .. الجلوس في هذا المقهى رقاد فوق وسادة ميته تلفحها رائحة الخمول. المدينة يغرقها الاعصار ولا من أصوات أو ضجيج . سئمت هذه الحياة .. إنني اجتر حتى نفسي . زوجتي تطلب الكثير الكثير ... لادخن .. ها هي دي العلبة تنتظر كزوجتي تماما .. ليتني انتهي منها .. ويحها هذه اللعينة .. ايه .. الموج نيلي مسود ورغم ذلك يخرج زبدا لبنيا يهاجم الشواطىء المنقرة بشدة وعنفوان لم تشهد لهما المدينة مثيلا .

لاضحك .. يظهر ان البحر ضجر مثلي هو الاخر .. أنفث الدخان بعد أن أرى نور ونار عود الكبريت أشتم

رائحته .. شواء .. شواء .. كل الحياة شواء .. اللفافة اشويها .. الزمن يشويني زوجتي هي الاخرى تشويني .. أود لو اتقيأ .. الدخان يعلو ويطوي سماء المقهى الصامت. لاخرج . نهضت .. دفعت ثمن فنجان القهوة بآلية عهدها النادل الذي احنى رأسه ايماءه الاحترام الذي لا يستحقه أي شخص .. أو على الاقل . شاكلتي .. ها هو ذا الشارع يلفني مع جمع الصامتين . هيه .. يلتقط يدها كأنما هي السعادة أو الحياة يحتضنها .. بل لكأني به يغيب في عينيها المتقاربتين الصغيرتين . وانا اجد هذه الارض قبرا يضيق بي .. آه .. لم يتزوج بعد .. انه ـ كما يقولون ـ خطيبها . انظر اليه يمتع نظره بوجهها الدائري .. يظهر ان لا شيء في الكون سواهما .. ايه .. دعني منهما .. ولكن .. الريح تعبث بتنورتها ، الأعين الفضولية تتدافع باتباه .. بل تتسلق من قدميها حتى ركبتيها وتحاول رفع التنورة كأنما هي تصيح للريح هيا .. أيها الريح .. يا اله المعجزات .. ارفع اثواب البنات .

دعنا نرى كل ما تخبئه الملابس . ليتكم تعلمون الحقيقة .

أأعود الى البيت ؟ الاسطوانة القديمة التي ابصقها كل لحظة :

ـ قلت لك الف مرة .. اريد طفلا .. اريد طفلا يا حسن ..

حتى انها تجهش بكاء مـرا .. وتطـل اللوعة من عينيهـا :

ـ يا عزيزتي .. يا حبيبتي .. يا غاليتي .. لم يمض عام على زواجنا .

وتصرخ كأنما تود خنقي والانتهاء مني :

ـ يا لبرودة اعصابك !! (وتشير بيديها نحو السماء).. اسمع يا الهي !! يقول كلمة عام وكأنه يعني بها لحظـة واحدة ؟

اتهالك على المقعد اعتصر رأسي .. اوف ما هـذا !؟ الريح تكاد تقتلع اذني .. احس بأن شيئا يحاول قصهما من رأسي .. اريد ان ابصق . القي اللفافة اللعينة .. انها انطفأت حتى اللفافة تلفظني .. انطفأت .. انها ترفضني .. هيه .. سيارات اليوم لا تحدث ضجيجا .. ناعمـة .. تسير .. سمكة في الماء .. لايصدر عنها حتى الهمس .. ثانية اعود واراقب الفتى وخطيبته . اربعة شباب بمحاذاتي .. ماذا يقول ؟!

ـ ليتني اتزوج مثلها !

هه .. ياله من غبي لا يعرف الثمن .. اسمع الاخـر الابله بماذا يجيبه !

ـ ياه .. ان فتاة كهذه تعادل الوجود .

بهذه الكلمة صدق .. فالوجود تافه والفتاة مثله ..

ترى لو تسمع كلمات الاطراء المجنونة ماذا ستفعل ؟.. ستقول لفتاها :

ـ عليك أن تقدم لي سيارة..(آخر موديل) .. والا ـ

ويهتف فتاها المتلهف :

ـ ولكن ـ يا عزيزتي ـ من اين لي بالنقود .

ـ اجلبها .. اخلقها .. هناك آلاف غيرك يتمنون التفاتة مني .. يتلهفون لسماع كلمة واحدة ..

ولماذا ينتابني هذا الاحساس ؟.. لماذا أود فرقتهما ؟ تماما كما أود مفارقة تلك البدنية زوجتي ؟.. لماذا تزوجت اذن ؟.. كنت غبيا ؟! تعليل الفاشلين .. لقد رفضت من العمل ايضا ـ يجب ان اجابهها بالامر الآن :

ـ عال .. هذا ما كنت اتوقعه من كسلك !

ـ ياعزيزتي .. انك بليـة والله .. ماذا أفعل اذا كان السيد المدير يريد مني ان اخادع ؟

تصرخ من اعماقها الظامئة المتألمة (وهذا ما يسرني في بعض الاحيان) :

ـ لماذا لا تخادع ؟.. خادع .. غش !

ـ أفهميني أولا ! اسمعي الحكاية ..

ـ هووووه .. تكلم ..

تضع يديها حول خاصرتيها .. تريد ان تصرعني .. لاقص عليها الحكاية .. وباختصار :

ـ ألم اخبرك بأن الشركة اعلنت عن حاجتها لموظفين جدد ؟؟

ـ نعم .. نعم ..

ـ عظيم .. تقدم بعض الطلبة للفحص .. كان من بين هؤلاء ابن خالة السيد المدير. عندما دققت أوراقه وجدته فاشلا .. لكن المدير يطلب الي جعله من المتقدمين الناجحين.

ـ وطبيعي حضرتك رفض ...

ـ طبعا .

لا يوجد في هذا العالم من يفهمني. أألقي نفسي تتقاذفني هذه الامواج القاريةالغاضبة ؟ لم أهرب من الحياة ؟.. هاهو ذا الشاب مرة اخرى .. يكاد يقبلها في الشارع وامام الاعين النهمة .. أراهن كل الشياطين بأن كل من الشارع يتمنونها ويحسدونه عليها .. نعم اراهن . اللفافة ثانية .. حاجة غريبة .. ربما تطلب روحي عملية الحرق .. لماذا لا تحترق المدينة ؟ عاصفة عاتية ايتها الالهة .. ليست كل المدينة .. حينا فقط .. صاعقة تحرقه لتريحني من اللعينة .. تريد الاطفال .. بل يالها من وقحة :

ـ اراهن انك أنت السبب .. انك عاجز ..

ـ عاجز ؟

ـ نعم عاجز .. اذن لماذا ترفض الذهاب الى الدكتور للفحص ؟..

يومها وددت ان اخنقها بيدي .. لأرى علامات الموت

ما دمت حيا .. اقضي على حبل أتدلى منه يتفرج علي كل البشر .. التافهون .. وغير التافهين .. سيتحدثون لكنني هززت رأسي بلا اكتراث وواجهتها :

ـ ومن يدري .. فربما انت عاقر ..

عندما اغلقت الباب بعنف .. سمعت شهقات بكائها .. هذه عادتها .. اذن لتبك اليوم .. لتذهب الى والدتها التي تحدثها اشياء كثيرة .. منها .. انني .. هه «مقطوع» هذا هو المهم ! ولكن لم يرفضوا زواجي من ابنتهم وهم يعلمون بكل ذلك ؟.. آه .. من أجل الوظيفة .. أم لأن ابنتهم كادت ان تصبح عانسا .. لاحرق اعصابي بالدخان هذا هو الافضل .. ماذا اسمع ؟ أهو الضجيج ؟.. الدراجة النارية .. يا له من فتى .. بهذا الجو العاصف وهذاالشارع المكتظ بالصامتين .. بالجنائز المتحركة .. يسير بأقصى سرعته محدثا اكثر ما يستطيع من ضجة .. اود لو اقبله .. ها قد راقبته منذ اسبوع .. يذهب ثم يعود . الريح تداعبه بعنفوان وهو يقبل على ذلك .. بل لكأنه يجد الامر سلوى دائمة .. اصوات الدراجة تبتعد .. « توت .. توت » .. باخرة جديدة .. في هذا الجو والشمس تقارب المغيب .. الشمس التي لا يراها الناس اليوم . يا للسحب كم هي سوداء !! لماذا لا تهب العاصفة ؟ لماذا لا يحدث الامر المحبب الذي سينهي كل شيء ؟.. ومن ثم يعود الصمت الجنائزي الحزين المشبع بالنقمة، ليطبق على المدينة الموشاة بالسواد..

واسير وحدي في الشارع .. مع الامواج الضالة والريح الصرصر والسماء الباكية .. والوجوه المكفهرة المعبسة .. ماهذا ؟.. آ .. قطرة ماء .. يبدو ان الاله سيبكي .. رحماك !!. ان البساتين ظمأى ، والناس يرتلون للسحابات السود ان تنزل المطر لتحيي العروق .. ها .. ها .. سيارة جديدة تبطيء .. تتوقف امام الخطيبين .. انه والدها المحترم ـ فتح معظم الناس مظلاتهم ـ يطلبون الماء ثم يتقون البلل .. كزوجتي .. تطلب الاطفال وتريد بيتا محترما .

ـ يا عزيزتي .. يا معبودتي .. البيوت المحترمة تحتاج الى مال .. مال .. اف .. يا للشياطين لا شيء يقنعها ..

صوت الدراجة يأتي ثانية .. الضجيج الحي يقطع هدوء الموت وصمت الفجور .. كل يهمس بأذن صاحبه.. اذا هكذا لِمَ لم يبق كل منهم بحجرة يتكلم ما يريد ؟ أو تخشون الاذان ؟.. ماذا ؟؟.. كل شيء حدث بسرعة .. بسرعة لا يمكن ان اتصورها .. يا للهول .. لاستعد الشريط .. يا للهول !!.. يا للكارثة !! قتلوا الضجيج .. قتلوا الشاب المتحد .. قتلوا صنديد العاصفة .. سيارة الأب .. يا للهول !! تطاير اشلاء ممزقة .. لعله « بيدر » قمح ذر في الرياح .. الدراجة بين عجلات السيارة اضحت عجينا والشاب بابتسامته المتحدية طار .. طار .. تلوى في

الهواء .. فتل .. برم .. تحدى الشموس .. عيناي ترقبانه .. صيحات قلبي تخترق حجب الغيوم لترتطم بالكواكب .. بالقمر الآفل المغرب .. ثم سقط .. رأسه على حافة الرصيف .. تحركت ساقاه .. رفس الهواء .. لعله كان يتحدى كل شيء برفساته المتوالية السريعة الحانقة .. ثم كان الصمت .. الخمول .. الصمت .. بينما تجمهر الناس .. يتأوهون .. الفتاة وخطيبها اصابهما مس .. تقلصت كل عضلات وجهيهما . وجمدت اعينهما .. والرجل العجوز ، والدها ، يرقب الشاب المضرج على حافة الشارع . همهمات .. هدوء .. انتهى كل شيء ..

أجر ساقي وانا ادخل الزقاق الضيق .. السماء كأنها تبكي من تحداها ، راحت تنزل المطر .. الحجب تتكشف .. وبرز النور الواهن الخافت الذي يطوق وجه القمر المعتم الشاحب .. لعله يطل بحنو على الجثة بعد ان كانت الحركة عنوانها .. سيتزوج الخطيبان على اصوات عويل والدة الفقيد ..

طرقت الباب .. لا أحد يجيب . الاضواء داخل البيت مطفأة . أهي دخينة اخرى تنطفىء عندما أريدها أن تحترق ؟.. يبدو انها نائمة .. اخرجت المفتاح من جيبي فتحت الباب .. الظلام والصمت .. اسمع اصوات الصراصير والحشرات التي تقتسم البيت معنا .. غرفة النوم مظلمة .. هدوء .. وصمت .. وظلام .. لا حركة ..

انني تخلصت من اللعينة .. حزمة ضوء غزت غرفة الجلوس الصغيرة لبرهة ثم كأنها لم تكن دوي صوت الرعد القاصف في السماء .. شعرت بقلبي يهوي .. الجوع بدأ ينهش معدتي .. الوحدة .... اعدت الى الوحدة .. البرودة تتسلل بين اضلعي .. حية . ولكن العبء الثقيل ازيح .. أين ذهبت ؟. لاتهالك على المقعد .. واجلس في حلكة ظلام البيت الموحش .. البرودة تنخرني بكل قوة .. جياد الجوع تطاردني .. أأذهب الى الفراش ؟.. لا اريد ستثلجني البرودة . لو كانت اللعينة موجودة لزودتي بقليل من الدفىء .. اعدت اتخبط ؟ كيف ؟.. صوت تردد صداه في كل جوانب البيت المظلمة .. الرياح تطرق النوافذ .. احس بالجوع .. بالعطش . .بالبرودة .. بالوحشة .. بالخوف فاشباح الظلام تتطاول في الدهليز .. انها تسخر مني .. انها تتعاضد لتنقض علي .. لاخرج .. احتاج الى الدفىء .. الطعام .. بل .. لتلك اللعينة .. فصورة المتحدي ما تزال تدور وتدور في رأسي الزاخر .. القلق ..

المصباح

لا أدري لماذا عصف الجو هـكذا بسرعة .. سحب سوداء جاءت مسرعة فغطت السماء وحجبت النجوم والقمر وجاء معها الريح الصاخب الذي ذر في العيون كل ما استطاع من تراب القرية .. الناس تراكضوا .. كل الى بيته يستر عينيه ويحاول ان يتقي القطرات المنحدرة بشدة .. وجـاءت العاصفة .. أولاد زقاقنا اسرعوا واختفوا منذ مدة اما أنا فلبثت مكاني في الطريق بعد ان تركت بيت خالتي .. ثمة رغبة تجتاحني رغم الظلمة الحالكة ان ابقى هنا ولا اعـود الى « الزاروب » الطيني الضيق حيث نقطن في بيتنا الصغير الى جانب ستة بيوت مشابهة له ... الهواء عنيف . انه يشدني الى الاعلى .. يريدني ان اطير .. حتى الرجـال الكبار تراكضوا .. حدق احدهم بي مستغربا ثم ما لبـث ان جر ساقيه وسار يعاند عنفوان العاصفة .. ثم غاب مـع الظلام على قيد خطوات مني .. لفني الظلام .. باتت البيوت

اشباح سواد تتطاول .. انني لم أعد أميز أيّ شيء ... حتى المصابيح أضحت بخيلة .. وضحكت رغم ان اسناني تصطك .. لقد غدوت كالقلق .. رفاقي كم حاولوا كسر مصباح زقاقنا ..

قال حسن :

ـ ان هذا اللعين يكشف ألاعيبنا أيام الصيف ...

ورد علي :

ـ يكفينا ضوء القمر ... قد يجلب لنا المصباح اللعنة ...

وقلت :

ـ صحيح انه لعين ... ولكنه كالذبابة ...

وحدق حسن الي طويلا وهمس باستغراب بينما اسراب الحمام تطوف فوق الزقاق :

ـ كيف كالذبابة ؟

صمت .. حاولت ان اتذكر ما قاله والدي عن الذباب .. هذه الرياح تلسعني كعقرب .. انها سياط مثلجة حادة .. تقدد اضلعي .. لأسر .. ولكن كل شيء مغلف ولا استطيع ان افتح عيني .. الرذاذ يضرب اجفاني .. ويحي .. ان المصباح هذه الليلة منقذ كبير .. بل اود لو اقبل من وضعه .. واصفع حسن وعلي لانهما أرادا كسره .. ضممت الكتاب وقربته ناحية صدري وقد تذكرت قول أبي :

ـ الذبابة غير مضرة ...

صاح علي مستهجنا :

ـ غير مضرة ؟.. كيف ؟

ـ اعني عندما يبتلعها الانسان .. انها تقزز فحسب !!

انني لاندم على وصفي هذا للمصباح .. لقد ظلمته .. هاهو الليلة سينير دربي كما انار سبيلهم لاهتدي الى البيت .. لكي لا اغرق في المياه التي تراكمت مع الطين بعد هذا المطر الشديد . .عجيب .. ألم يقل والدي :

ـ لن تمطر بعد هذا العام .. اننا في نيسان ...

لم تعتد القرية هجوما مفاجئا كهذا .. يا لهول السحابة .. اقسم بان المطر والريح سيهدمان بيت أبي سلمان كما حدث في العام الماضي ونهب للنجدة ... سمعت تلك الليلة صراخا وعويلا .. قفز قلبي بين جوانحي :

ـ ماذا حدث يا أبي ؟

ـ سقط بيت أبي سلمان ..

وتساءلت والدتي وهي تضع يديها فوق صدرها .. والبرد يقرصها من ساقيها المتصلبتين :

ـ وهل حدث مكروه ؟

أجاب باهتمام :

ـ اخشى ان يكون طفلهم الصغير قد فارق الحياة ...

ـ يا وليتي ...

أيحدث هذه الليلة ؟.. يا للبريق ... الكلاب كلها أوت الى جحورها وليس من احد في الطريق سواي ... انني بدأت اخاف من هذا الجو .. ماذا لو سقط

بيتنا ؟.. يا للكارثة .. ويذهب والداي ؟.. واصبح يتيما ؟.. كلا .. كلا .. لاستحث الخطى واصل الزقاق.. ألم أصله للآن؟.. كنت على بعد مائة ياردة منه .. وها أنذا لا ابصر سوى خوارا من ظلام .. أين اضواء المصباح ؟.. اقطع التيار الكهربائي ثانية؟.. أين أنا .. ها هو ذا شبح البيوت .. صمت .. نقرات الماء .. صمت .. حفيف الاغصان .. صمت .. الرياح تصفر عند الاسلاك .. اذن أنا قريب من الزقاق .. ها هو ذا عمود النور . آه اصطدمت به .. يا للعار هذا المصباح مطفأ .. الظلام .. الظلام . احدق بالظلام .. تتراءى لي اشباح من بعيد ؟ بدأت اهذى. هذا زقاقنا حتما .. ولكن من أين لي ان اتحرك الآن والمصباح مطفأ ؟ هيا .. الرعد اللعين يقصف كل شيء .. ماذا لو نزلت صاعقة على احد البيوت لأحرقته وصار النور ؟. ولكن الى حين .. الهلع سيطل من رؤوس كل الناس وستصطخب القرية .. أمي وأبي قلقان ربما يبحثان عني أو ربما :

ـ أين عادل يا ترى في هذا الجو ؟

تجيبه والدتي مطمئنة :

ـ يمكن ان يكون عند خالته .

ـ وان لم يكن ؟

ـ مستحيل سيكون هناك .. والا لحضر مع حسن وعلي .

لا يعلمون بأنني هنا الى جانب هذا العمود أترقب

المعجزة . لماذا لا يمدون النور الى هذا المصباح ؟ هل اطفأه هؤلاء خوفا من صاعقة ؟

ـ صرخة اقضت مضجعي ودوي هز أركان بيتنا في العام الماضي .. ان اميمة المسكينة اصبحت يتيمة .. لقد حرق والدها ، أخذته العاصفة هو والحمار وطفله .. لا أريد ان يحدث الآن ما حدث في الماضي .. اهدأي أيتها الرياح .. المطر يبللني .. سيهجم المرض علي ويقتنصني كما يصطاد أبي الارانب .. العاصفة العمياء .. بيت أبي سلمان .. ووالد أميمه وابنه وحماره .. العام الماضي .. الآن .. الصمت والنقير . ونزيز الخوف .. والمزاريب تتدلى منها شلالات مياه المطر .. والسماء سوداء غاضبة .. وكل شيء مكسو بالسواد .. ولا ارى حتى اصبعي .. العمود الخشبي يرتجف كالقصب ، ستقلبه الرياح .. أيها المصباح .. يبدو انه يريد الانتقام لاننا لانحبه .. يبدو كذلك .. يبدو .. أيها المصباح .. أنا آسف .. آسف جدا .. أنت عظيم . احسن من قنديل بيتنا .. بل ومن كل قناديل القرية الواهنة .. ألا تستجيب لدعائي ؟ ارشدني .. ان أهلي يصرخون .. ها .. ماذا اسمع ؟ نحيب ؟ أم هي (الغوله) التي تحدثت عنها جدتي جاءت تلتهمني ؟.. بريق .. ذلك هو بيتنا .. لأسرع قبل ان افقده .. ولكن الظلام يعود .. آه .. الحفرة اللعينة .. الماء .. الماء .. والطين .. وصل الماء ركبتي .. لاتنزع ساقي .. انني انتشل نفسي .. الماء يقطر من كل

اجزاء جسدي قدماي خرجتا .. ولكن أين الحذاء ؟ فقدت الحذاء .. هذه الحفرة لم لايردمونها ؟ آه يا قدمي .. لقد جرحت .. ما هذا ؟ شيء يعضني .. مددت يدي أتحسس .. شيء دافيء ينز من قدمي .. لابد وانه الدم .. ولا بد انني دست على عظمة أو لربما قطعة زجاج من المصباح .. الألم يقطع اوصالي .. والظلام يحيط بي .. ان المصباح يقوم بالانتقام مني وانا الوحيد الذي دافع عنه ..

الجدار الرطب .. الرعد العاصف .. لم اعد استطيع السير ولا الوقوف .. قدمي تؤلمني كثيرا .. انني ارتجف الخوف يسري في أعصابي .. الطين أتلف ثيابي كلها ، وسيقرعني والدي وسيضحك آنذاك حسن ويشاركه علي :

ـ سمعناك تبكي الليلة الماضية ..

ـ بل لقد ضربك ابوك .. أليس كذلك ؟

واصرخ بوجههما :

ـ لولاكما لما ضللت طريق البيت .. لقد كسرتما المصباح .. لقد كسرتما المصباح ..

لأنهض وهذا أفضل .. العويل ثانية .. انه قريب . الحذاء ضاع والبرد يدخل دمي .. قلبي غدا كرة يتقاذفها أولاد الحي .. عيناي تحدقان بالمطر .. يغلفهما القطر .. تنفتحان على ظلام .. ياللريح كم هو عاصف وبارد .. أأسير ؟ نعم .. نعم .. حتى القناديل البخيلة اختفت .. ماذا حدث؟ أ أنا هنا وحيد تقاسمني وحدتي هذه العاصفة ؟؟

ربما العاصفة هي السبب .. الباب الخشبي .. حمدا لله .. انه باب بيتنا بالتأكيد .. ادفعه لا ينفتح .. اطرقه .. لا أحد يسمع .. اطرقه ثانية .. هاهي طرقات قبقاب صاخبة مسرعة .. انفتح الباب وانزلقت للداخل وأنا أسمع صوتا انثويا :

ـ اتجه الى الباب الآخر .. على يدك اليمنى ..

انه ليس بيتنا .. بيت من هذا ؟ القنديل الشاحب اخيرا .. وجه عابس اصفر .. صغير يرتجف تغمره الظلال ...

انه حسن .. قفزت الى الداخل .. اضاءت وجهه ابتسامة مريرة :

ـ ويحك يا عادل اين كنت ..؟ ثم ما هذا الطين ..؟ تعال هنا بسرعة ..

ودنوت من المنقلة الفحمية لعلني ادفىء نفسي قليلا .. وهمست وأنا افرك يدي :

ـ المصباح ..

وأطل الاستغراب :

ـ ما بـه ؟

ـ انه مطفأ ..

جرني محاولا ان يكون لطيفا .. وهتف زافرا :

ـ ألا تعلم ؟

واندهشت .. ان سحابة سواد كتلك التي في السماء

ظللت وجهه المحتقن المزرق :

ـ ماذا حدث ؟

اجهش بكاء .. يا ويلتي ماذا حدث ؟؟ انه يبكي بحرقة:

ـ اخبرني ماذا حدث ؟

صوت نسائي ناعم متهدج متأثر أجابني :

ـ التيار صعق علي .. وتوفي في الحال ..

تيار صعقه ..؟ غدا بلا حراك .. انني ابكي .. دمعتان ساختتان اتخذتا طريقهما .. والدة حسن دنت منا .. صامتة .. رفعت وجه حسن الذي راح يصرخ بينما عيناه الحمراوان تحملقان بأشياء شتى :

ـ قلت له دعك من المصباح .. لا تحاول كسره .. لا تحاول كسره ..

ادركت الحقيقة آنذاك .. قطع السلك الكهربائي .. انقطع التيار .. وجاءت العاصفة .. صحوت على كلمات أم حسن :

ـ لماذا أنت حافي القدمين ؟؟.. ثم ما هذا الدم ..؟

ـ فقدت الحذاء في الحفرة ... لأن المصباح كان مطفأ .. وربما دست على قطعة زجاج منه ...

الخلاص

لم يعد يتحمل ذاك العبء .. لا يستطيع تحمله .. ان الموت ليسري في اعصابه تدفق ماء عند نبع متجمد ... الارواح من حوله تتراقص ... امواج بلا مرفأ . ولاح له من بعيد في زاوية من المسطح الاملس المغطى وهج أمل بالهروب .. فلم يجد بدا من ان يغلق النافذة التي تصب عليه الريح شلالا يثير عواصف الاحساس بالبقاء والشور برهبة الزمن والضجيج العاري بلا اجنحة ... قرر ان ينغمس بليلة مجون كما يفعلون .. كم حدثوه عنها ولكنه كان يميل دوما الى التقيؤ عندما يذكر ذاك اللبن « تعسا لهم .. وله .. يسمونه « حليب اسود » .. » .. ولكنه قرر ان يرضع كطفل رأى نور حياة خفيفة بريئة .. رغب البصاق على المدينة .. يغرقها كما لم تغرق من قبل .. يغيب معها في شيء اسمه « العدم » ..

الليل يغرق المدينة فيتكشف شعوره بالوحدة والضياع

والاسى .. ودلو يستطيع قبر نفسه كما تفعل الشمس ولكنه عاد فضحك من الفكرة وهو يدندن « ولكن الشمس تدفن لتحيا .. تدفن لتحيا .. وهكذا » .. يريد ان يدفن نفسه بلا عوده .. بلا حياة .. كم راودته فكرة خنق الروح ليتخلص من النافذة ويوقف الشلال ولكنه اصطدم برأي رفيقه الدائم رغم كراهيته لديمومته والنافذة مفتوحة .

ـ ولكنك ستلاقي حياة جديدة ..

وتساءل : وهل هناك حياة اخرى ؟.. يا للعار !!

أتاه الجواب سيلانا من السباب والشتم .. وغبارا تذره الأم الكبيرة من خلال النافذة ... تحرك ليغلقها .. ولكن لا حيلة .. حتى في حالة الغيبوبة هي منفتحة وتعمل « يا لها من لعينة !! أين الجحيم ؟ » همهم وهو يعبر الشارع حيث تراءى له المبخر المعبق .. الدخان يملأ الجو .. والسعلات تتعاقب . الدخان يعلو حلقات تتعلق بها العيون .. هناك حبال تشد حدقاتها وتذوي الحلقات وتبقى الحدقات مستمرة في التجديف .. بلا شيء .. لا موج .. لا بحر .. لا ماء .

انها هناك تجلس برخص .. ففكر وهو يدخل والعيون قطعت الحبال التي تشدها الى السقف والخواء لتتجه اليه .. تشده بعنف وصخب .. « انها تعرض بضاعتها .. للبيع .. لحم آدمي .. للبيع ياناس !!.. من يشتري ؟.. أهكذا كانت التعسه التي جنت هذه الجناية الكبرى علي ؟...أمات

ذوو النخوة ؟ ان « المزاد العلني » ليقبع هنا .. بكل جوارحه .. لو كانت تلك المدفونة حية لما وجدت من يقبل على بضاعتها .. ان الشلال نخرها .. وانهاها .. بدت مدببة .. مقوسة .. منقورة .. منخورة .. يعلوها العشب المخاطي الاخضر .. »..

جلس وقهقهة تصدر من أعماقه رغما عنه .. حدق الى الوجوه.. « انها هي الاخرى ينحتها الشلال .. يجدرها الزمن .. ليته ينتهي الى لا شيء .. الى لا شيء » .

جاءه النادل باسنانه الصفر .. بضحكته الالية العمياء .. يقدم له العرض ..

وأتاه الجواب صغيرا اشبه بمواء ..

ـ عرق !!

ـ تؤمر .. استاذ ..

« استاذ ؟.. يا لك من دجال كبير .. كلكم دجالون.. غشاشون .. لو رأيتني وهم يلتقطونني لحما وعظما .. كريها .. ملفوظا .. لبصقت بوجهي .. رغم اني آنذاك املك براءة الملايين من الاطفال .. لاني مثلهم !.. من قال اني مثلهم ؟ انني ... انني ـ » وقطع تفكيره صوتها يقهقه بعهر وعربده .. « تتزين برخص .. كذاك الذي يمسح وجه التفاحة مرات ومرات .. كي تلتمع بوجه الزبون ... أود لو تذهب انسانيتي كلها .. واصبح حجرا .. أف .. كلا .. فالحجر له وجود .. والبحر .. آه ..

البحر وجود خلقته الانسانية .. حقيقة اذن انني اكره الحقائق وامقت البحار .. » .

حضر كل شيء .. المقبلات .. وذاك السائل المائي .. والماء .. والثلج .. وراح يحاول ان يصب لنفسه .. « ليته ينقلب الى سم يؤدي للعدم .. » تمتم .. وهو يحدق بعينيها القلقتين وبدأ يؤلف في ذاكرته صورة « للمجرمة التي جنت عليه » ..

وضحك للخاطرة .. « تماما كهذه في شبابها .. من المفرح انها الآن في حياة اخرى .. ربما كانت تتلقى السياط .. لماذا ؟.. لقد أرادت البحر .. فالتهمها .. وغرقت فيه حتى استحالت قطعا .. تفتتت .. ثم تلاشت » .

ـ الآنسة تريد محادثتك ..

انتبه الى كلمات النادل .. « من ؟.. الآنسة ؟.. هه .. هه .. آنسة !!.. آنسة !! » ..

ـ لتتفضل ..

قالها وهو يرمي نظرة نحوها .. وقهقه في داخله « أنا الآخر بدأت أدجل ... » .. حدق بها وهي تتمايل مقبلة .. بين النظرات الشرهة السكرى .. نهض .. صافحها .. ودون كلمة .. جلسا .. غرس عينيه بها ثانية « انها غيرها.. انها اخرى .. لكنه قناع السلعة ذاك الذي صورها اخرى » ..

ـ من أنت ؟..

كان السؤال الذي جاء رنة هادئة غريبة من بين شفتيها

المدهوتين .. « انها وقحة .. ولم لا ؟.. كلهن هكذا .. وتلك الداعرة اللعينة المجرمة .. تماما كهذه .. ربما أوقح ايضا .. »

ـ أنا ؟.. آه .. أنا من يبحث عن عدمه ...

وضحكت .. وهي تميل نحوه .. بينما كانت تنورتها قد انحسرت عن بعض اجزاء جسمها .

ـ وكيف تبحث عن « عدمك » هذا ؟..

ابتسم رغما عنه .. وود لو لم يسمح لها ان تأتيه .. وتمتم :

ـ ومن أين لك ان تفهميني ؟..

اجابته بهدوء وهي تجرع الكأس وتلتهم حبات « الحمص » المسلوقة :

ـ لا يغرنك مظهري فمهنتي جعلتني مثقفة ؟

تساءل وقد استغرب .. وهو يقرر وقاحتها :

ـ مثقفة ؟..

ـ نعم .. دون ان اعرف تمييز أي حرف ..

رأي ان يطوقها ليعرف مدى ثقافتها :

ـ حسنا جدا .. انني ابحث عن لا انسانيتي ..

ضحكت عاليا تقرع كفا بكف .. « انها تسخر مني هذه المنكرة .. سأريها .. سأنتقم بها من تلك المجرمة الكبيرة .. » .. وسمعها وهو هدأت من ضحكاتها ..

ـ وأنا .. يا للصدفة الغريبة !!.. وأنا ابحث عن

انسانيتي .. عن كينونتي !! سَخَرَ منها بقرارته وهو لما يزل يشعر بلسعة باردة تأتي من تلك النافذة .. بينما الشلال يستمر .. وهي تعمل :

ـ وما تريدين من شيء مزيف !؟.. الوجود زيف .. وكل شيء كاذب ..

أطرقت بعد ان ارتشفت « العرق » .. وهي تشعر بحرقة في حنجرتها تتجه الى الداخل تتسلل الى احشائها .. وفكر .. « لقد انتصرت عليها .. أو ربما انتصر .. انها اطرقت اذ جوبهت بالامر الكبير ..»

ـ هذا صحيح .. ولكنني شاذة .. كما يقولون طبعا!

سألها وهو يعجب باجابتها تلك بينما لما يزل يجمع رقعا صغيرة في مخيلته ليرسم صورة « المجرمة التي لم يرها »..

ـ لماذا .. كما يقولون هذه ؟..

اجابته على الفور .. وهو يشنف اذانه :

ـ لا انني لا اعتقد بشذوذي .. واذا كان الامر هكذا فان آدم وحواء هما اول شاذين لانهما اول من اقتطف الثمرة المحرمة ..

ضحك .. للمرة الاولى بصدق .. والصورة تتكامل .. ورآها مطابقة للتي تجلس قبالته الآن .. وأحب ان يفرج عن نفسه ولو معها :

ـ أنا ابن حرام ..

ـ وكل الخلق ايضا ..

أتمت وهي تضع يدا باردة فوق يده الخشنة السمراء.
« لا أود أن أراها أكثر .. انها من نوع غريب .. » ..
سألها :

ـ والحياة .. ما رأيك بها .؟

ـ تجارة ـ كل الخلق تجار ... وتجارتي ـ مع شديد الاسف ـ هي التي لا تبور ...

ضحك بمرارة وهمس لذاته « ألا يجدر بي ان انتقم من تلك الجانية بواسطة هذه .. التي اعتبرها هي بالضبط؟. ولم لا ...؟.. ربما اعثر على عدمي من خلالها كما حدث وصارت كينونتي من خلال تلك .. » .

ـ وهل بالامكان العثور على عدمي برأيك ؟..

زمت شفتيها وهي تحاول ان تخدره بنظرات تكاد تكون حية ..

ـ ممكن جدا ..

ثم اطرقت متصنعة عدم المبالاة .. وابتسمت له وهو يحاول ان يعثر على سؤال جديد .. ولكنها كانت اسرع منه..

ـ نحن متفقان !!

كان قرارها .. « يا للصغيرة .. انها فراشة تدنو من النار لتستحيل الى عدم .. » .

ـ كيف ؟..

وضحكت فبانت اسنانها البيض تبرق وسط عاصفة : ـ

ـ لنقترن ..

توقف عن شرب العرق .. « يا لها من وقحة .. بل وقحة جدا .. تريدني ان اقترن بها .. ولم لا ؟.. آه .. أأعود ؟.. كلا .. انني ابحث عن عدمي .. » صاح بها .. ولكن بصوت خافت ..

ـ ونغرق في البحر ؟..

طوقته بيدها الناعمة المثلجة .. واحنت رأسها قبالته كأنما تريد ـ

ـ ليس بهذه السرعة .. اعطني شيئا يقنعني ..

مرة اخرى حملق بعينيها .. « باهتتان .. حقيقية .. انها تبحث عن شيء ارفضه .. يا لها من خاطئة .. » .. انتظر اجابتها .. وعيناه تنتقلان من وجهها الى الكأس .

قالت وقد تغيرت نبراتها ..

ـ اعتقد ـ آه لقد وجدت الاسباب ..

ـ ماهي هل ـ

مقاطعته :

ـ أوافقت ؟..

أحس بأنه يذوي كنار شمعة أوشكت على الانتهاء .. يريد النهاية .. ولكنها بعيدة سألها :

ـ اذكريها الآن .. لافر من الأمر ..

ـ اذا اقترنت بي اصبحت عدما .. واذا اقترنت بك اصبحت شيئا .. ربما اعثر على كينونتي بك ..

ـ أهذا أمر مؤكد ؟..

كان سؤاله الذي اربكها ..

توقعت ان يصمت .. ولكنه خيب ظنها .. « سأحتال عليه .. ربما يكون غبيا » ..

ـ نقوم بتجربة ..

اقترحت عليه وهو يعبث بالكأس .. محاولا جهده ألا يشرب .. سألها وهو مطرق :

ـ كيف ؟

لامست شعر رأسه ويدها تطوق رقبته والاخرى راحت تفرك ساقيه :

ـ اظنك نبيها كفاية لتفهم ما عنيت .. ألم تقل بأن الانسانية والوجود زيف ..

ـ صحيح ..

وصفق في داخلها الامل :

ـ اذن لنغرق في الزيف .. لنذهب الى البحر .. نجدف .. ونجدف حتى وان انعدم الماء .. والموج .. وحتى الموت ..

همهم .. تعاوده الصورة .. ترتسم فوق .. في باب النافذة .. والشلال من امامها يجري .. ويحس العبء ثقيلا .. ثقيلا ..

ـ لي شرط !

ـ وهو ؟..

ـ ألا نحاول ايجاد « هابيل » جديد ..

اطرقت .. « انه لغز .. لا افهمه يكاد يجهز علي .. اذن يجب ان أريه »..

اطبقت شفتاها على خده .. فأحسهما موتا يسري في اعصابه يسحبه للعدم فكر « صحيح انها العدم .. النكرة.. ربما اعثر على العدم فيها .. ولو بالتجربة » .. صاح بها وهي تنتظر الجواب .. تتفرس وجهه الاجعد المسمر :

ـ ولنغرق في البحر .. فهو الملاذ .. وهو الخلاص .. وتذكري بأن الشمس تسفح دوما في البحر ...

همسة للأموات

قال لي مرارا أن الموت أفضل من ان يحتمل الانسان أعباء وجوده .. ولقد انكرت عليه هذا ، بل صرخت بوجهه ذات مرة :

ـ اذهب وانتحر اذن !!

راح يومها يفلسف لي كيف انه قد يموت وهو حي .. وكيف ان الانتحار قد يؤدي الى ماهو أشد تعاسة .. لأنه يجهل مابعده .. غير أني وفي هذا اليوم النيساني القميء أدرك اشياء كثيرة .. فحين تغرق الخيبة فأرا ، يقبع في حجره المظلم . وقد تأتي أفعى تقضي عليه .. أو قد يقتله الجوع .. وان مايجيش بصدري الآن لا يعدو ان يكون غير الحقد ، مجرد حقد أصبه على الكون .. لأنه يضم تلك الآفة اللعينة التي ما فتئت تنشر اليأس والخيبة .. انها .. الحب ...

لم أشعر في أي يوم بدبيبة يسري في اعصابي ويجمد

احاسيسي عن كل فكرة سواه . غير ان عينيها العميقتين اغرقتاني في بحريهما الزرقاوين .. ويوم رأيتها وهي تدخل مبنى الجامعة تتهادى كأنما هي طاووس فخور قلت وطيور الامل تصفق وتغرد في قلبي الخاوي :

ـ هاهي .. انها هي .. لاشك في ذلك ..

وتم لي ما اريد .. فلقد كان من السهل أن اتعرف اليها واكلمها واحس معها بأن كل مايقوله أحمد مجرد وهم وهذيان ليس الا .. اللحظات التي انفردنا بها كانت احلى من الشهر .. بل لكأني بذاك البحار الذي جال كل المحيطات وأعياه التجوال .. والعواصف تنتزعه من فرحه وهدوئه .. فاذا به امام جزيرة ليس فيها سوى الخضرة الدائمة والظلال الرحيمة .. وهكذا حلمت عدة مرات بأني أغرق صدرها بالدموع حين اشعر بالوحدة تمزقني وتقرع هدوء أعصابي .. قالت لي بينما المطر يرش ماءه فوق الاعشاب والحشائش والاشجار يعيد الحياة الى الاوصال الظامئة :

ـ ياعزيزي .. كأنك لم تجرب طعم الحب يوما ..

فاجأتني بجرأتها تلك ففتيات قريتنا لا يكلمن الشباب أبدا الا أيام الافراح والاعراس .. ولا يمكن لفتاة الا أن تتورد وجنتاها خجلا وتسبل جفنيها تغطي عينيها خفراً .. وتحني رأسها عندما تسمع أشارة او تلميحا حول جمال فتاة .. أو اعجاب شاب بأخرى .. لكن هذه الفتاة التي أحببتها جريئة فأنا أعلم ان من المفروض على الرجل ان

يفتح مواضيع كهذه معها .. غير أني لم أجرؤ .. لساني شل وأبت الكلمات الا أن تتكور متجمدة في حلقي لا تريد ان تخرج .. ورأيتها تبتسم :

ـ يالك من شاب (خام) !!.

لم تعتد ان تخاطبني بهذه اللهجة .. كنا نتحدث عن الدروس ، وعن الناس وتصرفاتهم وعن السياسة .. خاصة عن السياسة رغم أنها تمل الحديث عن السياسة ويظهر الامتعاض على وجهها ويشوه معالم وجنتيها المتوردتين .. لكني لم اكن لأعثر على مادة للحديث غير تلك المتعلقة بالطلاب والدروس .. والسياسة .. وكم من مرة جلسنا صامتين كل منا ينتظر ان يبدأ الاخر بالحديث .. وهذه المرة احرجتني ..

لكن ماذا تجدي الذكرى الآن ؟.. ذهب كل شيء .. واتضح كل شيء يوم جاءني أحمد وهتف :

ـ فتاتك تخونك ...

وددت ان احطم وجهه .. بيد اني تمالكت اعصابي وضبطت قواي وقلت :

ـ انك مغرض ..

ضحك :

ـ سأبرهن لك عن صحة ذلك .. تعال معي ..

سألته :

ـ الى أين ؟

ضحك وهو يربت على كتفي :

ـ هل تحتمل اعصابك الصدمة ؟

اجبت وأنا مؤمن بكذبه :

ـ طبعا .. اعصابي هامدة .. تحتمل أي شيء ..

اقتادني خارج المبنى .. واتخذنا طريقنـــا في شارع بور سعيد .. كنت صامتا افكر في عمله الوقح هذا .. وساءلت نفسي : ايريد ان يبرهن لي بأن ذلك الشعور مجرد خدعة .. ان كل الحب ماهو الا سراب في صحارى الزمن الجرداء الممتدة بلا حدود ؟.. ومع ذلك فلقد احببت المغامرة .. وتصورت نفسي أكشف له عن خداعه.. سأصفعه..هذا ما قررته .. وامام مبنى كبير هتف :

ـ هذه هي الكوريدا .. سندخلها ..

وتساءلت باستغراب :

ـ ماهي هذه ـ الكوريدا ـ ؟

ضحـك :

ـ صحيح انك ساذج .

ـ كيـف ؟

ـ ادخل معي .. هيا .. وسترى .

صعدنا السلم بكل هدوء .. قلبي بـدأ يخفق بعنفوان واضطراب .. فتح الباب .. الجوداخل الكوريدا هادىء .. كقبور قريتنا النائية .. وكان الظلام الشاعري يخيم على الجو كله .. ولمحت من بعيد في الزاوية شبه المعتمة شبحين

لشخصين .. كل منهما يقابل الآخر .. وهتف أحمد :

ـ تلك هي معبودتك .. مع عشيقها الجديد .. انظر اليها .. انها تقبض على يديه كأنما هي تحتضن الدنيا و .. انظر اليه .. انه يتحسس كتفيها العاريين ..

لم استطع الا الهرب .. ان اقفل عائدا تغرقني الخيبة .. وينفخني كلام احمد حقدا وغيظا على تلك الخائنة .

ولكن ما جدوى ؟.. عندما تذبل الوردة التي تقطف لايمكن للماء ان يحييها من جديد ولا حتى التراب .. فهو يواريها ، ويغمرها سيلان النسيان ..

ها أنذا أسير نحو الجامعة .. كل الناس من حولي مجانين .. يسيرون بغرابة هذا اليوم .. ما للشمس تحجبها السحب المكفهرة ؟.. ما للسيارات تسرع بغرابة وجنون يمزقان اعصابي ويفتتان كبدي ؟.. أود لو أصفع كل الناس .. أن أضرب ايا منهم .. لكني لا استطيع .. فالخيبة تقيدني .. ولا استطيع حيال ذلك أمرا ..

أريد أن أراها اليوم .. ماذا ستقول ؟.. ماذا ؟.. لم أدخل الجامعة منذ ذلك اليوم التعس .. ستفاجأ اليوم بوجودي .. سأطمرها سبابا وشتما ، سأصرخ بها أمام الجميع :

ـ إنك خائنة !

ولكن هل تحضر مساء ؟.. اذا كانت عشيقة ذاك الفتى . فلم لا ؟.. موعد هنا ومن ثم (كوريدا) جديدة .. أو

قديمة ..!!

وقفت تتجاذبني افكار عديدة .. لن أجدها !! بلى .. سأعثر عليها !. لأذهب ! لأنتظر !!.. ماهذا .. يد تهبط بنعومة لتتحسس كتفي فجأة .. التفت . ياللهول ! ! ما هذا انها هي .. بكل مافيها من جمال وعذوبة .. ايتها اللعينة.. ايتها الكلمات التي تخونني على الدوام كلما واجهتها !! .. انها تبتسم .. بل وتسألني :

ـ أين كنت هذه المدة ؟

غير أني لا أعثر على الكلمات .. تجمد ثانية .. خذلتني اللعينة .. عيناي تشعان ببريق حنان وعاطفة .. هما ايضا تخذلاني .. يداي تقبضان رغما عني على يديها .. انهما تخدعاني .. كلي خيانة .. وموت ..

قادتني الى الخارج .. وهمست بأذني بينما بدأت استعيد شيئا من قواي :

ـ هل انت اصم ابكم ؟

ـ من الذي كان يصحبك في (الكوريدا) ؟

ضحكت .. اقسم بأن ضحكتها تلك افزعتني :

ـ انه .. صديق .. حميم ..

ـ أيتها اللعينة .. تعترفين هكذا وبكل وقاحة ؟؟

مرة أخرى ضحكت .. ببراءة :

ـ أعرفك جيدا .. أنت (خام) ..

حاولت جهدي الافلات منها .. غير ان ذلك العبير الذي

يفوح يشدني اليها ويربطني بها .. ويصغر العالم امامي .. ليستحيل الى .. (هي) .. صوتها العذب يفقدني كل احساس ، أحاول ان الفظ ـ ان اقول شيئا .. ان اصرخ بها : انت خائنة .. لكني لا استطيع وها هي تقول بصوت خافت ناعم :

ـ انني أتمتع بك فحسب .. انك لطيف .. لطيف .. تختلف عنهم كلهم .. كل الذين اعرفهم شياطين .. اما انت ـ فأنت كشجرة الزيتون اليتيمة في صحراء الموت والخراب والى جانبها واحة خضراء انشد فيها راحتي وسلواي ..

قلت وقد انفلت الحبل الذي يشد الكلمات فجأة :

ـ انك خائنة .. خائنة ..

حملقت بوجهي .. أحسست بالدماء تغلي في عروقي .. وبرغبة شديدة في البكاء .. كنت اسمع انفاسها التي تحرقني .. اخيرا قالت :

ـ من ذا الذي دنس حرمة طبيعتك ؟.. من ذا الذي اهان فيك براءةشجرة الزيتون اليتيمة ؟.. أهي فتاة ؟

ضحكت رغما عني بمرارة ولست أدري كيف ذاب الكلم أخيرا :

ـ نعم .. انها فتاة ..

ـ من هي ؟..

ـ انت ..

وتذكرت صورة احمد .. آمنت بأن أقواله كاذبة ..

ففي الحياة يمكن ان نكون امواتا ويمكن أن نكون غيرذلك .. سمعتهـا تهتف بعد ان ارتخت قبضة يدها من حول زنـدي :

ـ لقد نجحت تجربتي !

لم ادرك ما تعنيه .. فقلت مستغربا ..

ـ تجربتك ؟؟.. ما هي !!؟.. الخداع ؟؟..

ضحكت وقد توقفنا تماما .. وحدقت اليَّ :

ـ بدأت أعبدك .. سنرى أحمد بعد قليل ..

ـ ماذا تعنين ايتها اللعينة ؟

ـ اننا نعيش في عصر المادة .. أليس كذلك ياعزيزتي ؟

ـ نعم ..

ـ عظيم !! لنحول علاقتنا التافهة .. الى مادية .. مجدية ..

أخيرا فهمت ما تصبو اليه .. اذن هي ليست خائنة .. من هو ذاك الرجل اذن ؟.. وقبل ان استفسر .. اشارت بيدها وهي تبتسم :

ـ ستشاهده الآن عندما نذهب الى بيتنا ..

قلت بعد صمت قصير .. أستعيد فيه كل ما مضى :

ـ صحيح ان الخيبة مبعثها القحط .. وان الامـل

والحياة مبعثهما الخضرة .. والثمار ..

كادت تحتضنني وهي تصرخ :

ـ بدأت تحيا .. المهم .. الثمار .. الثمرة .

وسرنا .. كان كل شيء هادئا .. لا أعلم لماذا وددت ان اسمع هدير الرعود .. وابلل نفسي بالمطر ..

سعلة

ـ للمرة الثالثة والاخيرة أقول .. أتخرج أم لا ؟

جاء الجواب رنة هادئة :

ـ كلا ...

ـ اذن سأخرج وحدي ..

لم يجب صاحبه فصفق الباب من خلفه . ومرة اخرى اصبح وحيدا في الغرفة .. عيناه تحدقان في النافذة المقابلة حيث اسدل الستار الاحمر وتطاول الظل على الجدار الخشن .. همهم :

ـ الملعونة .. رحلت .. ـ وبين يديه حيث رقدت علبة الدخان .. ارتسمت صورة .. عجوز وفتاة .. وهو بطوله الفارع ولباسه المتواضع يخطو الى جانب الشابة .. كانت تبتسم .. كل شيء فيها حي حتى شعرها الذهبي الذي كان يعاند الريح .. كان سعيدا .. يضحك كأنما يحتضن

الدنيا بذراعيه .. زفر .. ثم اخرج لفافة واشعلها وعيناه مسمرتان في النافذة المسدل ستارها الاحمر .. امتص من الدخينة وهو يشعر بمغص . ودفع بالدخان الى رئتيه حتى كاد ان يختنق .. نفث الدخان الازرق المتلاشى ... فعدا ذاك من خلال النافذة .. وراح يذوب في الخواء .. ـ كانت جميلة .. ـ .. ليتها تعود ـ تمتم ويده اليسرى تطبق على العلبة تكاد تفتتها .. وعاد الى الوراء ..

ـ حلب ـ التهمت مني ثلاثين عاما .. لقد استنفذت شبابي كما يقولون .. من اين اجدها ؟.. من اين ؟ كور قبضته وطرق الطاولة الصغيرة .. سمع انينا يتأتى منها .. فرفع يده .. واستمر . عيناه تحدقان بالستار الاحمر المسدل

ـ لماذا تسافر ياولدي ؟

ضحك وهو يغلق الحقيبة الجلدية :

ـ لابحث ..

تساءلت امه العجوز وعيناها الغائرتان ترقبان حركات يديـه ؟

ـ تبحث ؟.. تبحث عن ماذا ..؟

وباصرار أجاب ؟ :

ـ ابحث عن نصفي .. عن شيء يخلصني ..

اطرق الرجل الكبير .. بانت سيماء الجهد علـى وجهه الاجعد .. وسمع زوجته العجوز ...

ـ وحلب .. الم تجد فيها هذا النصف .. وذاك الخلاص ؟

لم يجب .. كانت لحظات وداع سريعة .. يريد شيئا جديدا .. ابتسم وهو ينفث الدخان ويرفع عينيه عن النافذة .. ـ طار العصفور .. ـ وعلى الطاولة الصغيرة انتقلت نظراته .. الكبريتية .. ـ اود لو .. لو احرقها كلها .. لارى النار .. المسها ـ .. رفعها .. حدق بها ثم القاها :

هكذا اعتدنا ان نلعب .. انا وشقيقتي .. واخي الصغير .. ويل لمن يكون الجلاد .. ـ ثم تطلع الى يديه .. الى راحتيه .. وفكر ـ كم من سوط الهبتني اللعينة .. ولكنها سعيدة .. سعيدة .. كيف احكم ؟.. ثم ما هي السعادة ؟ ان يلتقي الانسان بنصفه ؟ واذا فقد ظله ماذا يحدث ؟.. ثلاثون عاما .. واستفيق لارى لاشيء .. تعسا لي كم كنت بليدا ـ مرة اخرى غرز عينيه بالستار الاحمر حتى اصبح يشاهد كل شيء أحمر اللون .. يديه .. الكبريتية .. الغرفة .. الفندق .. ربما صاحب الفندق أيضا .. وتمتم ـ لقد طار العصفور .. ولن يعود ـ .. وعلى الستار الاحمر المسدل ارتسمت امامه تلك اللحظات .. ـ كانت ساعات طويلة .. قصيرة .. لعل العسل يقطر بالنقطة هذه الايام ..

ـ كم انت لطيفة !!..

احنت رأسها فانسكب الوعاء الذهبي .. وغاب في

خصلاتها بكل جسده .. بكل حناياه .. واحسها ترتعش ..

ـ تكلمي يا هيفاء ..

طوقته ببحر عينيها الزرقاوين فظن انه في حلم جميل وهو يسمع رنات صوتها :

ـ لو سمعتك امي ..؟

ابتسم وتسللت يده على يدها فأحسها صغيرة ملساء .. وهتف بهمس ؟ :

ـ اتمنى لو اضعك في ـ

سحبت يدها بلطف .. خيط أحمر يطل من زاويتي عينيها .. شروق الشمس :

ـ اين ؟؟

ـ اللفافة انتهت ـ .. كادت تحرق اصبعيه .. فاطلق عقبها في الهواء من خلال نافذته وتراءى له انه سقط على شعرها الاشقر الشمسي .. فأشعله واطرق ـ حقل قمح يحترق ـ .

بانت له الظلال تتطاول .. همس : وغربت الشمس ثانية .. أو كادت .. نهض .. السريران الممددان .. تبسم وهز رأسه .. : نعشان للموت المؤقت .. لا أريد ان اموت ـ ذرع الغرفة بعد ان اضاء المصباح وحلق ..

الشمس بعثت رسلها من خلال النافذة عندما استيقظ .. وصرخ بعد ان رمى نظرة الى معصمه :

ـ عصام .. عصام .. استيقظ .. انها التاسعة ..

نهض من الفراش يتثاءب .. التقت العيون .. تتفرسه من النافذة حيث كان الستار مرفوعا .. عيناها بحيرتان عميقتان .. تسمر مكانه وهو يردد :

ـ وايم الشيطان هي .. هي .. لاشك بانها هي ..

ولما شعرت به يلسعها بسياط ناظريه ارخت اهدابها الطويلة .. اسبلت بحيرتها واحنت رأسها .. قرر الا يوقظ عصام .. تصنع اللامبالاة وراح يغسل يديه وقد ثبت نظراته في المرآة .. حيث عادت تحدق من بعيد ولمح على شفتيها الحمراوين الرقيقتين طيف ابتسامة ..

ـ ويحي اريد ان احرق اعصابي بالدخان ـ عاد الى الطاولة .. جلس .. واخرج لفافة تبغ أحرقها يتلذذ بالنظر .. ـ ماذا لو رأيتها تحترق هكذا ؟ ـ ضحك بألم ووقف .. تتبعه كلماتها .. حاول الهرب ولكنه لم يستطيع الصمود ..

ـ سأراك صباح الغد ...

ـ متى يا هيفاء ؟

وتبسمت مفكرة .. فركت اصبعيها فخالها ترقص على وقع سريع ..

ـ سأشير لك من النافذة ان اخرج ..

همس لها بحيرة .

ـ ووالدتك ؟

ـ سأخبرها باني ذاهبة الى الجامعة ..

ـ انك عظيمة ..

حاول ان يقبلها ولكنها انسلت .. ـ سمكة قفزت من بين يدي الصياد .. الى الماء .. ولكن الا يجوز انها أرادت ان تستهلكني هي الاخرى ؟.. ان تلتهم بقاياي ؟.. ثم تقذفني كرة متشققة ـ تعالت حلقات الدخان امامه .. عيناه تحلقان معها .. حتى تذوب الرؤيا مع الحلقات الذائبة المتلاشية في سماء الغرفة .. و ـ لن أعود نصفا ـ قرر هذا .. صمم ان يعود ـ واحدا كاملا ـ ... تنفس بعمق وعادت نظراته عن سماء الغرفة لتتركز عند النافذة المظلمة المسدل ستارها الاحمر .. الليل يهبط طلا في صباح مثلج .. ـ هربت وها أنذا نصف كما كنت .. ـ أمتص الدخان وأتأمل تخلقني طفلا من جديد ـ كي أعيش ما مر ثانية .. ولكنها هربت وها انذا نصف كنت .. ـ امتص الدخان وأتأمل الدخينة ـ أنها تقتل نفسها ببطء .. أنها تنتحر ـ همهم ذلك .. هز كتفيه ـ ولكني انتحرت بسرعة .. اذن هي اكثر مني حكمة .. رغم اني انسان .. انسان ؟ كيف ؟ والبرهان ؟ اين هو ؟ ما أنا الا كذاك الحي يكمن فيه الموت يحكي للناس قصة لا يسمعونها .. يسخرون منه .. ـ ود لو يصيح ويسمع الجميع صرخته .. صرخة تنطلق من أحشائه تهز النافذة حيث ستارها المسدل .. يرتفع الستار .. يظهر الرأس الذهبي الالمع .. يغيب اذ يتلاشى كل احساس بالزمن .. يغيب كمن نوم بالمغناطيس .. يفعل ما يؤمر به .. فقط

اراد .. ــ ان يبقي العصفور بين يدي ــ يشعر بنبضاته .. يلمس ارــتعاشاته .. يطوقه ويحنوعليه .. يحميه .. ــ من شرور حلب .. التي سرقت ثلاثين عاما منه ..

القى اللفافة وهي لما تزل تخفق بالروح .. بين قدميه .. داسها .. داسها ــ هكــذا سحقت الصــراصير .. وشقيقتي تولاها الفزع فأجهشت بكاء ــ .. فكر .. ــ لقد عاشت لحظاتها كما ينبغي .. سخرت مني .. تماما كما سخرت مني حلب .. الفرق هو ان حلب سخرت ثلاثين عاما .. اما هي فلم تسخر سوى اربعة ايام فحسب ..!! أأكون زهرة امتصت رحيقي ؟ تعسا لي .. تبا لي .. الزهرة أكثر جدوى ــ راح يجول في الغرفةانتقلت نظرارته .. السرير .. النافذة .. وعبرت الشارع الذي يفصل البناءين .. الى النافذة .. تسلقتها ثم ارتدت .. مطاطا الى الغرفــة .. الطاولة .. الكبريتية .. العلبة .. سريره .. الخزانــة الحديدية .. ثم الى الباب .. تقدم وفتح الباب . الدهليز معتم رغم المصباح البخيل ــ عصام يتمتع .. لم لا ؟ انهواحد .. لقد عثر على نصفه .. وهل هو يتمتع حقيقة ؟ اذا هكذا لماذا صاحبني الى هنا ؟ .. ــ أطل رأسه الى البهو ثم عاد .. تراجع الى الخلف .. يغزو مشاعره .. أحس بقشعريرة .. تقــدم الى العلبة والكبريتة .. دسهما بجيب سرواله .. استدار الى الخزانة .. اخرج سترته .. ارتداهــا بسرعة ــ الملعونة رحلت .. لكني سأريك يا حلب .. سأستفزك ..

سأنتقم لعمري الذي ذهب .. سألتهم نصفك .. بل سألتهمك كلك .. وانت يا أماه ماذا ستقولين ؟ آه ..

ـ ها قد عدت وحيدا .. الم أقل لك ؟

يضحك وهو يلقي الحقيبة ويتقدم اليها .. :

ـ ولكني عدت .. عدت كلا يا والدتي .. صحيح انني وحيد .. ولكنني كامل ..

تستغرب العجوز القصيرة الحدباء ..

ـ ولكني أراك كما انت ..

يهتف لها بمرح المراهق وهو يختطف من وجنتها قبلة : كلا .. كلا .. سترين ..

من خلال الدهليز المظلم مشى وهو يتطلع الى البهو المضيء ثم الى الدرج .. لا يعلم كيف وصل الشارع .. رفع رأسه الى الاعلى .. النافذة .. وستارها الاحمر المسدل .. ضحك ـ لا اريد ان تعود .. لا أريد .. ـ ارخى نظراته .. وتقدم الى الضجيج الحي وهو يتمتم ـ كانت مجدية ـ ويود لو يفتح قلبه للناس يتفرسونه .. راح يذكر كيف انها احرقت اعصابه لانه كان يتلهف .. كانت تهرب دوما ولكنه في غمرة سكرته تغاضى عن كل ذلك .. أحس انها أرادت ان تقضي على ما تبقى منه .. تذبح اعصابه ..

ـ ولكني كنت ثملا .. السكرة جعلتني عبدا .. السراب .. يا لي من غبي .. يا لي من غبي ـ سار .. عيناه مغرورقتان .. يحدق بالسماء .. حيث انعكست النجوم في حدقتي عينيه اللامعتين .

الساحة

النور يخفق وسط الظلام الذي يحتل المدينة الكبيرة . اضواء السيارات تنصب على الوجوه فتحيلها الى صفراء كالموت .. وتتطاول ظلال البعض على الرصيف المكتظ بالناس .. وهو يخطو بهدوء وبرودة .. عيناه تحملقان باشياء شتى .. لايرى من امامه سوى اشباحا عليه أن يتجنبها لئلا يصدم بها فتصعق صفاءه وهدوءه .. وتعيده الى الانغماس في الضوضاء الفوضية التي مقتها .. فمه هو الآخر مشغول بمضغ « العلكة » التي تضفي عليه رائحة طيبة قد تغمر أو تزيل رائحة ما احتساه قبيل وقت .. فهو لايمكن له الا وان يشرب الخمر .. هو هكذا منذ عرف معنى الليل والنهار .. ومعنى ان يعمل والا يعمل .. يداه مشغولتان ، احداهما تلوح بالسبحة الخفيفة البيضاء التي تبدو وكأنها تومض عندما تسقط الاضواء فجأة على حباتها ، والاخرى دسها في جيبه رغم الحرارة التي تشوي القار وتذيبه اثناء

النهار .. قدماه تقودانه الى حيث لايدري . ومر من جانبه شاب فاستوقفه :

ـ كم هي الساعة !؟

ود ان يقول(رجاء) ولكنه لم يعد يعرف لها معنى . نظر الشاب اليه واجاب باقتضاب ولم يتوقف :

ـ الحادية عشرة ...

هز رأسه باسى وهتف : اذن يجب ان اذهب توا الى .. الحانة .. إيه ! !

بعد ان حدد هدفه راع يسارع الخطو .. وبدأ يلتظم بكتف هذا ويد تلك .. دون ان يكلف نفسه عناء لفظة (عفوا) .. وعلى الرغم من قلة الناس في الشارع الفرعي الذي دخله الا انه شعر بضجيج أزعجه .. تلاشى من مسامعه ضجيج السيارات .. راحت الظلال تتساقط على نصف وجهه الايمن .. الشعر يغطي لحيته وشارباه كثان سوداوان .. عيناه غزاهما القلق .. يبدو لأول وهلة انه مقبل على شيء له أهميته .

وعند زقاق جانبي كاد ان يرتطم بشخص يرتدي بزة العمل (الكاكية) الصفراء فوجد نفسه يبصق على الارض .. انحدرت (العلكة) من فمه دونما ارادة وهو يحدق الى الرجل بشيء من السخط :

ـ الملاعين ..

وعندما وجد نفسه كذلك همهم : كم يعملون ؟

ابتدأ يفكر بهدوء كيف ان العمل يرهق الانسان .. دونما أية فائدة .. و .. « يكدون .. يعرقون .. ينخر المرض اجسادهم .. والنهاية ؟ قد يطمرون فيه .. ما هو الفرق بيني وبينهم ؟.. ها .. ماعاش من مات وهو واع .. ابدا .. هذا الخمر يفقدني الاحساس بكل مايدور حولي .. يداي لم تعرفا للعرق لونا .. لم اجهد نفسي ؟.. لم اكد واعرق والامر واحـد ؟.. سيان .. سيان ؟!.. النقود متوفرة ــ ولو بشكل يتضاءل .. هه يريدونني ان اتزوج !! تفه !! » .

كان قد وصل الى مفترق طرق اربع .. التفت يمنـة ويسرة .. غير انه صفر بجزع وحنق وقد تذكر شيئاً :

ــ الحانة مغلقة .. لعنة الله على (ابي جرجي) ! !

وفكر ان يبحث عن أخرى فانفتل الى الخلف بحركة سريعة ، وعاد يبحث . فكر في حانة قريبة جدا . ثم راودته فكرة أخرى .. النقود !!.. سارعت يده تدس المسبحة البيضاء في جيبه ، بينما الاخرى لما تزل في جيبه الثاني .. ومن ثم اخرج النقود :

ــ ليرة .. ونصف .. ليرتان ونصف ... ثلاث ..

وكأنه أصيب بالخيبة فبرم شفتيه ، ورفس الارض ، وهتف :

ــ ليرتان ونصف للخمر .. ربع للسيارة .. ولكن

الدخان ؟؟.. أ أعود ؟ لا أستطيع الآن لقد وصلت . الساعة الحادية عشر والربع .. كيف يمكن ان أحتسي الخمر بدون لفائف ؟.

راح يبحث عن وسيلة للخلاص من الازمة . لكنه لم يستطع إلا أن يفكر بالعودة الى بيت شقيقه لطلب النقود : (هذه أفضل فكرة .. لقد مضى عشرة ايام منذ ان ذهبت آخر مرة الى بيتهم ..) .

وسارع الى الشارع .. لم يكن من الصعب عليه ان يستقل سيارة . وحالما استقر استند الى الخلف وتنفس بعمق .. وتصور أخاه ..

يصعد السلم بسرعة .. يطرق الباب .. يخرج شقيقه .. يبتسم لرؤيته ، يشد على يده .. وتحضر زوجته وطفلته .. يضحكون . يقضي عندهم ربع ساعة من الزمن . يحصل على ورقة المائة ليرة .. او ربما ورقتين .. يخرج .. ومن ثم يكرع الخمرة حتى الثمالة بعد أن يبتاع أفضل علبة دخان .. منذ الصباح لم يتذوق طعم الدخان الاجنبي . ترى ماذا سيبتاع ؟.. (كنت) ؟.. كلا .. (جريفن) كلا .. اوه .. لقد أوشك ان يصل الى البيت .

حدق الى الوجوه في السيارة .. فتاة تجلس الى جانبه تتأمله .. بفضول . شعر بارتباك وظن ان ثمة خطأ في لباسه . تفقد سترته وقميصه وربطة عنقه بخفة . مسح شعره بسرعة . لم يعثر على ماهو غريب . قرر صرف النظر عنها ، وتطلع من

خلف الزجاج • البيوت تسارع الى الاختفاء من امام ناظريه• الاضواء تغيب ثم تسطع • الظلام والهدوء يخيمان على الشارع الا من السيارات القليلة واضوائها وأغان تنبعث من المذياع في السيارة • شعر بشيء من الضيق وهو يرى ان الفتاة توخزه بنظراتها المتلاحقة البطيئة المستطلعة • وود لو يصل الى البيت فورا • لكنه وصل بالفعل • توقفت السيارة • وبينما هو يناول السائق اجرته لمح الفتاة وهي تلقي بنظرة خاطفة صوب معصمها لترى الوقت • شعر باشمئزاز فغادر السيارة محاولا الا يلتفت خلفه ، غير انه شعر بأن نظرات الفتاة الغريبة تلك لما تزل تلاحقه •

* * *

طرق الباب في الطابق الثاني • وبعد هنيهة فتح أخوه الباب ، شاب طويل، قسماته جامدة •• نظراته ثاقبة وسريعة، لم يكد يفرغ من تأمل وجه الطارق حتى أوشك ان يغلق الباب •• غير ان يد الآخر قد شرعت بالسلام :

ـ اهلا ••• خير ؟

ـ دعني أدخل اولا •• يا أحمد !

ـ تفضل يا أستاذ نزار ••

دخلا غرفة الضيوف بسيطة هادئة • جلسا دونما كلمة • كل منهما يحدق الى الآخر • اخيرا هتف نزار محاولا ان

يظهر المرح ويكسر أواني السكون المريعة :

ـ كيف الحال ؟

ـ لا بأس .

ـ اين ام ابتهال ؟

ـ ستحضر بعد قليل ! ! هل هناك ما تريده ؟

ـ في الحقيقة .. انت تعلم لم يستطع ان يتمم . فرك يديه وراح يرمق الجدران .. دتثبت عينيه في الجدار المقابل . ساعة جدار كبيرة معلقة تشير عقاربها الى الحادية عشرة والنصف . ضايقه مجرد التطلع الى الساعة .. بل وجود الساعة بالذات . فنقل بصره الى اخيه الذي قال :

ـ بالطبع .. تريد النقود .. تريد نقودا .. أليس كذلك ؟

هز رأسه ايجابا فضرخ أحمد :

ـ اسمع يا نزار !!.. لقد سئمتك وسئمت هذه الحياة معك . اعمل يا أخي اشتغل .. لست بمسؤول عنك ابدا .. أفهمت !؟.

شعر بجثته تتقلص . الدنيا تضيق من أمامه . تطلع الى الامام لم ير غير الساعة وعقاربها السوداء الطويلة . ساد الصمت فترة لم يكن يسمع خلالها الا (تكتكات) الساعة . ومع كل (تكة) كان يشعر ان احشاءه تتمزق ويود انينهض ويولي هاربا .. استعاد الى ذهنه كل ما قاله أحمد . شعر بالغيظ يتدفق الى اعماقه . التفت صوب الباب ليشاهدامرأة

قصيرة القوام • شابة • عيناها تغزوان الغرفة بكل قلق •• نهض :

ـ أهلا ام ابتهال •

امتدت يدها تصافحه بينما احمد يرمقهما بنظرات ملؤها الضجر والسخط :

ـ ماذا في الامر ؟

أجابها نزار وهو يجلس بهدوء :

ـ تفضلي لأقص عليك الحكاية •

جلست ، تفرست وجه زوجها الذي كان يتحاشى لقاء عينيه بعينيها ثم سمعت نزار :

ـ كل ما هنالك أنني اريد مائة ليرة •• فحسب !!

هنا قفز أحمد من مكانه وتقدم صوب نزار مهددا :

ـ اسمع انت •• لم أعد أطيق رؤية وجهك القميىء •• مائة ليرة ؟•• فقط ؟ هكذا •• بكل بساطة •• اذهب الى الجحيم ايها العالة !!

ثم صمت • شعر بأنه صرخ أكثر من اللازم وانفعل بلا مبرر • نزار يجلس والهدوء يقتله • يريد ان يتفوه ولو بكلمة ولكنه لا يستطيع • ان مايقوله شقيقه حق (ولكن أليس له حق عليَّ ؟•• انا اخوه •• أخوه •• غير اني أكره العمل ثم أنا لا أصلح لشيء •• وما جدوى ذلك العمل اذا كانت النتيجة واحدة •• الموت ؟•• كم سنة عمل والد ي؟•• اكثر من أربعين عاما•• والنتيجة ؟•• نتيجةعرقه وجهده انه

.. أضحى مقعدا ومن ثم عاش عشر سنوات من البؤس والشقاء والمرض .. ثم مات .. لا أريد أن أصبح مثله أبدا . .)
نقل نظراته بين شقيقه الذي جلس ثانية وبين زوجته التي اعتراها الوجوم ولم تعد بقادرة ان تقرر ماذا تفعل .

ـ هلا تكلمت ؟.. هيا .. انطق ..

كان اصرار احمد يزداد .. (بريدان ينتهي من الموضوع ، بسرعة ..) . مرة اخرى انغرزت نظرات نزار في الساعة وأحس بالقلق يجتاحه ثانية . لماذا تغيظه هذه اللعينة ؟ عقرب الثواني يسير بتوافق مع (تكتكات) الساعة الآتية من من الداخل . تماما كضربات القلب . (إيه .. لأتكلم معه بهدوء . ما أغباني حينما تصورته يرحب بي ويمدني بكل ما احتاج بكل بساطة) :

ـ اسمع يا أخي احمد . أنت تعلم بأني لا أستطيع العمل ... لا يمكنني ذلك .

ـ لماذا لا يمكنك ذلك ؟؟

ـ لأنني ... لأني لا أريد أن أموت هكذا بلا شعور ولا حياة . مجرد عبد ..

ـ لست افهمك ايها العبقري !!

تدخلت الزوجة للمرة الاولى :

ـ ياعزيزي نزار ... لماذا لا تنفذ نصيحتي وتتزوج ؟

ـ أتزوج ؟

انتابته موجة عصبية عبر عنها بسلسلة من الضحكات

السريعة ، بينماكان أحمد يتبادل النظرات مع وزجتـــه ، يهز رأسه وكأنه فقد عزيزا عليه • ثم سمعا نزار :

ـ أتريدين الحقيقة ؟

ـ نعم •

ـ انك تتجاهلين بذلك كل الواقع الذي أعيشه !

ـ انا لا اتجاهل واقعك انما قلت ذلك انطلاقا من القلق الذي ينتابني نتيجة ادراكي لواقعك •• انني اخاف عليك من مصير •• لا أوده حتى لعدوي •

ـ أي أنك تريدين اغراقي في جحيم المسؤولية مـــع زوجة لا اعرفها ، ولا ادري كم من القطط ستضع لي ••• ثم أنت تعلمين بأنني لا أعيل نفسي فكيف اعيل زوجـــة ، وقططا أو فئرانا ؟؟•• هيه •• جنون •

حاول احمد السيطرة على اعصابه قدر الامكان • فكر في الكلما تالتي سيقولها في هذا المجال • نزار يتطلـــع صوب الزوجة بعين فيها رجاء وامل ، وهي توسعه تأنبيـــا بنظراتها القاسية •• زخر احمد بشدة وقال :

ـ انني عثرت لك على عمل •• فهل تقبله ؟

ـ انا اكره العمل والعاملين ••• ألا تدرك ذلك ؟ ألم تر والدي وهو يتألم طيلة عشر سنوات في سبيل لقمـــة العيش ؟••• آه أيها الأخ الحنون ••• يبدو لي انك نسيت الأيام التي قضاها واقفا ، والليالي التي كان يستمر فيهـــا صراخا من المساء حتى الفجر بشكل متواصل يفتت اكبادنا

ويمزق اعصابنا .

وكيف اننا لم نكن لننام الليالي من أجله . والدتي المسكينة قضت نحبها وهي تحاول جهدها ان تخفف عنه . كانت تقضي الليالي الى جانبه لا يغمض لها جفن ولا يقر لها قرار .. والآن هلا اخبرتني كيف مات والدي ... من اجل من مات ؟.. من أجل ماذا .. ما ـــ

ـ اخرس ... لا تذكرني بهذا .. لا تكلمني عن تلك الايام ...

صمت متفجر ساد ثانية . لا يعلم نزار لماذا انزلقت نظراته لتتعلق بالساعة مرة اخرى .

كانت العقارب تشير الى الثانية عشرة الا ربعا . ايقن أنه لن يستطيع ان يشرب شيئا هذه الليلة . ثم استفاق على كلمات شقيقه :

ـ الخمرة افضل من العمل بالنسبة لك ... أليس كذلك ؟

ـ هذه مشكلته الكبرى ... الخمر ...

قالت هذا ونهضت . شيعته بنظرة فيها اسى وأسف وقسوة وهتفت :

ـ سأعمل فنجانين من القهوة . لعل الامر يصبح اكثر برودة ...

اجابها نزار :

ـ لا داعي لذلك ...

لم تسمعه بل كانت قد غابت في الداخل . غير انه قرر في اعماقه ان يشرب القهوة وقرر ان ينتهي من كل شيء الآن .. لا يمكن ان يبقى معلقا هكذا بين الارض والسماء ..

ـ احمد .. أتريد ان تعطيني النقود أم لا ؟

جاءه الجواب صارما قاطعا :

ـ كلا .. كلا ..

فرك يديه واستفسر بهدوء :

ـ أأستطيع ان اسمع السبب ؟

شعر أحمد بملل . تثاءب ومط اضلعه ومن ثم حدج أخاه بنظرة خاطفة وهتف وهو يتنفس بعمق :

ـ انت تعلم السبب !

« هكذا اذن يتخلى عني . لم اكن لأعتقد بأن هذا سيحدث يوما ما .. »

رماه بنظرة طويلة راجية فوجده يتشاغل بتأمل صورة معلقة على الجدار تمثل ناعورة كبيرة . حدق الى الصورة، ثم ما لبث ان احس بالقلق وهو يسمع صوت الساعة من جديد . كانت (التكتكات) تخر في قلبه ، تدق مسامير في أوعيته، تحاول صد مسيرة الحياة فيها ، كأنها تضع صخورا في دروب الدم القاني لتوقفه .

ان هذه الآلة اللعينة تجعله يضطرب . وعادت اليه

صورة مؤلمة : الآلة التي قطعت يد أبيه وبترت كف الثانية .. ثم عذبته .. شوهته .. وقضت عليه .. بتمهل .. كأنما تود ان توغل فيه تمثيلا . مرض العضال الذي استعصى وتحول الى سرطان خبيث . (كل هذا من اجل العيش .. العمل اللعين) . لعن نفسه لأنه يتذكر كل هذا في حين انه قضى خمس سنوات لا يذكر شيئا . كل ما يعرفه هو طريق الحانة وبيت شقيقه وغرفته . من الناس لا يختلوا بأحد .. (أبو جرجي) يقضي معه الايام والليالي بعيدا عن العالم ومشاكله .. عن العمل واتعابه . وامام اصرار أخيه بدأت صور المستقبل القاتمة تتبخر من أمامه (أهو يتسول؟؟ كيف .؟ لحيته المغبرة تتدلى .. الناس يرمقونه بنظرات اشمئزاز .. يهتف احدهم :

ـ شاب سليم .. ويتسول ..

شعر بالغثيان . طرد الصورة القائمة بهزة من رأسه . واحتلته صورة .. بل فكرة اخرى .. لكنه رفضها ... المكتب ؟؟؟ مستحيل .. فهو لا يكاد يقرأ صحيفة . انه نسى كل شيء .. لا يعلم كيف يقرأ الاخرون ويكتبون . ترك الدراسة منذ ان فارق أبوه الحياة . لم يقرأ شيئا سوى لافتات كتب عليها (مشروبات جورجي . مشروب الخليل .. الشباب .. الشرق .. ملوكي .. أبو سعده) وعلى الاخص .. الاخيرة .. حتى كاد ان يفقد السيطرة على اعصابه عند قراءة لافتات اخرى . كأن يتصورها

(مشروبات معمل الاسمنت) .. أو (مشروبات الالبان .. أو السمن النباتي) . عاد اخيرا الى الغرفة . صوب نظرة اسف ناحية اخيه . وقرر ان يحاول مرة اخيرة :

ـ ماهو الحل ـ بنظرك طبعا ـ لهذه المشاكل ؟

رفع احمد رأسه ، فانعكست الضياء في عينيه ، وهتف : نحيل . يده الحرة الطويلة تشير يمينا وتومىء شمالا .. وعلى يمينهم متوسط القامة نحيف . وجهه الاصفر يكتوي

ـ يبدو لي ان صوابك بدأ يعود اليك !! وهـذه بادرة مشجعة .

ـ كيف ؟

ـ انك تريد ان ترسم طريق خلاصك ، وهي ميسورة بسيطـة .

ـ طبعا ... العمل !! هه !!

ـ هذا صحيح .. لا يحتاج انى السخرية .

ـ قلت لك الف مرة ، لا تذكر اسم العمل والعاملـين أمامي . لا اريد .. لست اريد .. كم اتعذب حينما اشاهد عاملا واذكر والدي ومصيره ؟؟.. كم يحز في نفسي عندما ايقن بأن مصير كل هذا ... تافـه ؟.. الموت !! انـك ستدرك هذا يوما ... عندما يطمر الشيب شبابك تـدرك الامر الرهيب . العمل لا يساوي شيئا . صحيح انني لااذكر

الحساب غير اني مازلت اذكر انك اذا ما ضربت أي رقم في صفر كانت النتيجة صفرا .. واذا ما عملت الف عام كانت النتيجة موتا .. أي لا شيء ..

أحنى أحمد رأسه وقد عاوده الوجوم . اطبق الصمت المهيب . تطلع نزار بلا ارادة الى الجدار .. حملق بالساعة . تضاءل كل شيء حوله . ظلت صورة الساعة .. الساعة العقارب .. الدقات .. التي تشبه الى حد كبير دقات قلبه آنذاك ... وفي هذه الساعة ارتسمت صور كثيرة ... صور باهتة .. صور بارزة .. صورة يعلوها الغبار فاندرست آثارها .. وصور مشمسه واضحة .. العقارب تدور .. تدور وتسير بسرعة الى الامام .. وتراءى له ان النهاية قد دنت .. انه يحتضر .. يموت .. من ذا الذي سيذكره ؟.. اجتاحته عاصفة ألم غاضبة .. افعى اليأس التفت حول عنقه الهزيل .. من ذا الذي سيذكره ؟؟.. « من يذكرني ؟.. من سيذكرني ؟؟.. من سيذكرني .. من .. من .. من ؟؟ » دوامة عاتية مشحبة تغوص به الى اشياء مقرفة .. وجد نفسه ينهض فجأة بعنفوان .. اقتحم الجدار وراح يلكمه ويلطمه كقطة مذعورة حبست ضمن جدران اربعة .. يحاول ان يتسلق الجدار .. يثبت اصابعه في الجدار وكأنه يود ان يغرز لحمه فيه .. وهو يصرخ والعرق يتصبب من كل اجزائه :

ـ من هو ؟؟ أيتها اللعينة !!.. من هو ؟.. من

هو .. من ؟. من ؟. من ؟.

نهض احمد بسرعة وقد انتابه العجب بينما اندفعت أم ابتهال الى الداخل مذعورة . عيناها تحدقان بفزع اليهما . أحمد يهدئه .. يحاول ان يسحبه وهو يصرخ :

ـ مجرمون .. العمل مجرم .. البطالة مجرمة .. تزاوج الاثنان فأنتجاني .. انتجاني .. مجرمان .. مجرمان ..

ولطم شقيقه على خده فصرخت أم ابتهال وهي شبه مغمى عليها :

ـ لا .. لا .. لا يانزار !!

ما كان من احمد الا وصفعه على وجهه بكل عنف . فجأة .. هدأ .. خمدت حركته .. تخاذلت يداه .. شعر بنفسه ينهار بغتة . اجهش بالبكاء .. فرك أحمد يديه بألم وتهالك على المقعد . بقيت أم ابتهال متجمدة فاغرة فاها .. مشدوهة لا تصدق كل ما رأته . استدار نزار .. امتدت يده الى وجهه .. والاخرى اخرجت السبحة . القاها على الطاولة .. فاتخذت شكل الافعى الجاثمة المنتظرة . كان وجهه اسود كالقار .. نافر الشعر كالدبابيس المزروعة أو المغروزة في قطعة خشبية صغيرة . ثم وجد نفسه يجلس بهدوء .. الدموع تتخذ مجراها الى شفتيه شبه المتورمتين. المرئيات من حوله يغلفها ذاك الدوار الذي اصابه . ثم ..

مرة اخرى .. سمع دقات الساعة .. غير انه لم يتأثر هذه المرة .. ثم سمع شقيقه يقول بصوت غلبت عليه الرقة :

ـ كأنك اصبت بالجنون !!

تحركت أم ابتهال مسرعة بعد ان تذكرت القهوة . راح نزار يجول بناظريه في أرجاء الغرفة .. ثم تركزت نظراته على الساعة الكبيرة .. كان العقربان الاسودان يشيران الى الساعة الثانية عشرة والدقيقة العاشرة :

ـ كنت مجنونا ... كنت مجنونا .. كنـ .....

خنقته العبرة .. نهض احمد وهتف :

ـ سأجلب لك النقود ...

عند ذاك اتسعت حدقتا عيني نزار وصرخ محتدا :

ـ كلا .. كلا .. بحق الاله .. لا أريد .. انني عالة عليك .. هذه هي الحقيقة .. عالة .. عالة .. صفر ..

ـ كلا ... سأجلبها لك .

ـ أو تشعر بالندم لأنك صفعتني ؟.. أم أنك تريد أن تدفع ثمنها ؟؟

ـ اوف ... ارجوك .. ارجوك يا نزار ..

ـ كلا .. لا تطلب مني شيئا .. بل أنا الذي سأطلب منك اشياء كثيرة بعد اليوم .

دخلت أم ابتهال ، فجلس زوجها . قدمت القهوة بهدوء دونما ان تنبس ببنت شفة . ثم عادت فقبعت مكانها تنقل

بعدها بين زوجها وشقيقه الذي قال بهدوء هو الآخر :

ـ أهي جميلة ؟؟

ضحكت من قلبها • رفع احمد رأسه ، وكاد ان يقبل السقف الذي تدلى منه المصباح الذي راح يصب نوره على الطاولة حيث كانت فناجين القهوة •• والسبحة البيضـاء التي تلتمع بريقا خاطفا محببا •• كالنجوم في ليلة شديدة الصفـاء •

بغداد والرطب

مهـداة الى الشعراء الثلاثة :
« م . د . ب »
« م . ع . »
« ع . ج . ب »

شمس بغداد تحرق الارض . تذيب القار ، وتسلـق الجباه ، وتستنفذ الجهود وتمتص العرق . شارع الرشيد تنضب فيه الحياة ، وتتقلص الظلال ويتعالى الوهج ليقرص الوجوه ويجمد النشاط . كان الثلاثة يسيرون بتؤدة .. جباههم السمراء تصطلي بسعير الشمس ، ايديهم تقبض على كتب تبللت بالعرق . كل منهم بقميصه المصفر المبلل .. وبنطاله الاجعد (الكاكي) .. الاوسط منهم رفيع طويـل نحيل . يده الحرة الطويلة تشير يمينا وتومىء شمالا .. وعلى يمينهم متوسط القامة نحيف . وجهه الاصفر يكتوي بحبات اخرجها جلده الرقيق . يده الهزيلة تمتد الى شعره المستقيم الذي تدلى يغطي جبهته وينزل ظلا خفيفـا على عينيه ، ثالثهم قصير اسمر واكن السمرة .. متوسط البدانة ... يسيرون بهدوء .. تترك اقدامهم آثارا على الشارع ..

كأنهم بهذا يتحدون الحرارة والشمس وجحيم بغداد ...

قال الاول : « شتاؤنا تنام في عروقه الدماء . » !!

خيم الصمت هنيهة .. الثالث رفع رأسه واتجه ببصره يمده في شارع الرشيد فرأى رجلا يحمل سلة خاوية .. فهتف :

ـ تذكرت البصرة الآن ...

ضحك الاول :

ـ بالحقيقة .. البصرة الآن اكثر حرارة من بغداد ..

قال الثاني بهدوء .. يداه تومئان نحو مجهول :

ـ واشد جفافا ايضا .. و ـ

قاطعه الثالث بهدوء :

ـ « نجوع في الشتاء

ونحمل العبء بعزة وكبرياء » .

صاح الثاني كمن نفض عنه غبار السنين :

ـ الشعر !!... أنأكله ؟.. أنشرب منه ؟

ضحك الاول بينما قارب الجمع ان يصل جسر « الشهداء » :

ـ لذا تراني لم اكمل قصيدتي الآن ؟؟

هتف الثاني دون ان يلتفت صوب أي منهما :

ـ الشعر يلطف من حرارة الجو .. ويخفف من وطأة الجفاف ..

ابتسم الاول .. ومن بين اسنانه الصفراء خـرج صفير للحن شعبي ..

فقفز الثالث وصاح :

ـ « رطب ... .

رطب ...

رطب ... »

غدا يجيء موسم الرطب »

تساءل الثاني بحيرة :

ـ متى يتم ذلك ؟

ـ دعني أنهي قصيدتي أولا ... أو أعطيك شيئا منها..

سأله الاول :

ـ متى كتبتها ؟

ـ قبيل ثلاثة أيام .. أتريد ان اسمعك منها شيئا ؟

ـ هيـا ...

كانت اجابة الاثنين سورية وقد خطا الثلاثة نحو الجسر الذي كان خاليا تقريبا من المارة والسيـارات . الشمس تنعكس في مياه دجلة الرجراجة هب نسيم خفيف محمل بالرطوبة ولكنه حار يلفح الوجوه ويصفع الايـادي العارية المسودة ... وقال الثالث :

ـ « تبارك الاله واهب الرطب .

ومر هذا العام موسم الرطب .
ومنجلي محطم وسلتي بلا غلال
وما ازال اسأل الدروب والرجال .
عن ـــ »

قاطعه الاول :

ـ القحط لا يبشرنا الا بالخير ..

ضحك الثاني بمرارة :

ـ الى م يرمز الرطب اذن ؟.. اذا كان القحط يبشر بالخير ؟

اجابه الاول باصرار بينما الثالث امتعض قليلا لمقاطعتهم له :

ـ في اساطيرنا القديمة .. عندما يبكي الاله ينزل المطر ... ولكن دع الأخ يكمل قصيدته ـ أو شيئا منها على الاقل ...

ـ حسنا جدا ..

« عن موسمي الذي أضعته .. أصيح بالنخيل
أصيح (يا نخيل ..
رضيت بالقليل ..) .. »

تنهد الاول وقد وصل الجمع منتصف الجسر . اشتدت عليهم حدة الحرارة .

ـ لقد تعبنا هذا اليوم .. منذ الصباح ونحن لا نفعل شيئا .

أجابه الثاني بحرارة تفوق حرارة سياج الجسر الحديدي :

ـ ماذا نفعل ؟.. لا عمل لدينا ـ

قال الثالث واجما ساهما :

ـ حتى النخيل لم يحمل الرطب هذا العام .

ضحك الاول بصدق واجاب :

ـ اذن لنذهب ونسأل والدي عن السبب .

تحسس الثاني معدته .. شعر بالجوع يأكل كيانه .. احس بالعطش :

ـ انني ظمآن .. اريد ان اشرب ..

قال الاول :

ـ لتستقل سيارة الى بيتكم .

ـ ومن أين لنا بالنقود ؟

صرخ الثاني محتجا :

ـ تعسا للشهادات الجامعية التي علاها الغبار في صدر البيت !؟

تحسس الاول جيبه ثم مد يده :

ـ معي ثلاثون فلسا ... اظن انها كافية .

موجات دجلة تبرق بسرعة عند انكسار الاشعة عليها فتخطف الانظار .. بلل الثاني شفتيه بريقه .. ثم مضغ ريقه لحظة .. وكان الثلاثة قد وصلوا (الكرخ)

بعد ان عبروا الجسر • وقفوا بانتظار (الباص) •

★ ★ ★

الهدوء أحتل المدينة • كأن الناس فيها يعيشون سباتا عميقا طويلا •• لم يكد الجمع يتنفس الصعداء ويجفف العرق الناري حتى كان (الباص) الاحمر قد وصل بطابقيه الضخمين ليبتلعهم ••• بسرعة •••

الساعة تشير الى الثانية والنصف بعد الظهر • الحر لما يزل يغرق بغداد • يجلس الرجل الكهل في الغرفة الصغيرة على حصيرة مهترئة مرقعة والشبان الثلاثة من حوله • الماء امامهم • المرأة العجوز في المطبخ الصغير • الهدوء يمزق أوعية الصديد الجافة في الشارع المقفر المهجور و (مدينة السلام) صامتة الا من حفيف سعف النخيل المتماوج بهدوء• قطع الشيخ الهدوء ويده تتحسس شعر ذقنه الابيض القصير:

ـ مابكم صامتين ؟••• ليتكلم احدكم !

رفع الاول رأسه بيسر وجال ببصره في أرجاء الغرفة•• ثم تلمس اصابع قدميه العارية بعد ان انتزع حذاءه وجواربه وقال :

ـ لماذا لم ينزل موسم الرطب هذا العام ؟

هز الشيخ رأسه • تعلقت ابصار الثلاثة به • راح يذكر كيف انه طلع على كل شجرة نخيل بنفسه ولقحها بالطلع كما حدث في العام الماضي •• وتذكر تلك اللحظات التي شعر

فيها بانه عاجز عن صعود النخلة بالطريقة التي اعتادهـــا منذ صغره .. وقال :

ـ لقد لقحت النخيل بنفسي .

ـ يبدو ان الطلع عقيم يا أبي هذا العام !

ـ يا بني ... لا يمكن للطلع ان يكون عميقا كمـا لا يمكن لدجلة أن يكون جافا .. لكن ..

شعر الثالث بحاجة ملحة لاعادة قـراءة قصيدته .. عجيب !! ان الشخص ليشعر بأن هذا الصيف مقيت .. مرعب ، يحمـل في ثناياه كـل أسباب العقم والقحط والموت !!.. غير ان الثاني بعد ان لمس ان أباه يريـد أن يتكلم شيئا يمكن أن يرشدهم .. سأله :

ـ لماذا لم تتمم ما اردت قوله ؟

صمت الشيخ . عيناه الغائرتان السوداوان تتفرسـان وجوه الشباب من امامه . شعر بتدفق الحياة في عروقه وهو يسمر نظراته في قسماتهم الصلبة وتراءى له انه عاد شابا يافعا .. يصعد النخلة بكل بساطة وبسرعة وجرأة ..ويرش حبوب الحياة والثمر من نخلة لأخرى .. بكل ثقة وعزم . وتذكر كيف ان الرطب كان يثقل كاهل الاشجار الباسقة التي كانت تحني رأسهافي كثير من الاحيان . وكيف ان النخيل الآن يرفع رأسه شامخا لا يحمل الا العقم والحرمان .. الرطب معدوم . يعود الشباب والكهول وسلالهمخاوية

الامن مناجلهم الظامئة الملتهبة فقال :

ـ عليكم انتم ان تلقحوا النخيل بعد اليوم .

تبادل الثلاثة النظرات السريعة . هتف الثالث وقد انفرجت شفتا الشيخ عن ابتسامة رائعة .. واصغي الاثنان باهتمام :

ـ « فليتني احرك الشهور

وليتني احرك البذور ، والصخور

فما اشد لهفتي الى مواسم الرطب

رطب ...

رطب ...

رطب .. »

حضرت العجوز تحمل الطعام . نهض الاول يعينها بينما الشيخ الكبير يردد بثقة وبنغمة خاصة مرحةشده بها عجوزه:

ـ (رطب ..

رطب

رطب

رطب ....)

آلو ... الى اللقاء

وقفا على ... جاء

ـ آلو.. آلو.. أنا.. من أنا ؟ أنا عدنان .. وبك.. اعطني (ساجدة) .. شكرا .. سانتظر برهة .. بسرعة .. نعم .. يا صباح الخير .. عال .. لا بأس .. كيف نست؟.. قلقة ؟.. صحيح أنني قسوت ـ لماذا ؟.. لم ـ .. كلا ـ اسمعي يا عزيزتي .. يجب عليك ان تدركي بأن هناك اشياء كثيرة لا يمكن للانسان ان يفسرها .. ماذا ؟.. لكن ـ .. نعم ..نعم .. اوافقك ولكن .. معذرة .. معذرة ان قلت انك من النوع اليائس .. ماذا ؟ مثاليات تافهة ؟.. متى كانت المثاليات تافهة يا ساجدة ؟.. الحقيقة هي أنني لايمكن ان اسعدك .. كيف ؟.. أتسألينني هذا السؤال ؟... أبدا .. لا اعثر له على أي تعليل .. الايام الماضية !؟.. تعودت منذ ولدت ألا انظر الى الخلف .. انهزام ؟.. من علمك هذه المصطلحات ؟ منذ مدة طويلة وأنا معك ولـم اسمعها الا هذه اللحظة بالذات !.. أنا ؟.. يا للكارثة ؟..

فلما اشتد ساعده رماني .. لم يشتد ساعدك بعد ؟.. نعم .. صحيح .. أنا الملام الوحيد في هذه الحكاية .. لقد كنت غبيا !!.. انني اعترف لك بهذا .. لماذا اتصلت بك ؟ لأطمئن عليك بالطبع .. اشعر بتأنيب .. انك على حق في هذا الامر .. هذا رائع .. كنت غبيا تعليل المهزومين ؟.. لست بمهزوم أبدا .. ماذا ـ ؟ اصغ الي .. شكرا جزيلا .. قد تبدو الامور بالنسبة للبعض هينه .. كما ان الانسان يصعد السلم بلا وعي .. لا يعد الدرجات .. ولا يفكر كيف يصعد كل درجة .. لكني اعتدت ان أحسب مايحدث غدا وبعد غد .. وبعد عام أيضا .. كيف ـ ماذا ـ ؟ ماذا أفعل بالماضي ؟.. يا عزيزتي .. لقد ذهب الامس ولن يعود .. يجب ان اتخلص من هذا .. صور ـ اسمعيني جيدا .. وأنا اقول بصراحة ما تريدين . .لا .. استطيع ان اتصور عينيك الغاضبتين الآن .. انهما اشبه بمرجل محمر .. كيف لا وأنا عشت معك اكثر من عام .. عدت الى الماضي ؟.. أنا ؟.. نعم .. كلا .. معك شيء من الحق .. ان مجرد اشارتي الى ذلك لا يعني العودة الى الماضي .. ماذا يعني ؟.. لست ادري !!.. كيف تفسرين اذن مرورك بحلم غريب او مصادفتك في هذا الحلم لشخص لم تقع عيناك عليه قط بل ولم تسمع عنه اذناك شيئا ؟.. العقل الباطن ؟.. الفضل في هذا يعود الى علم النفس الذي درستيه .. شكرا .. كيف تعللي (أنت)

التفكير ؟.. ظاهرة طبيعية ؟.. هذه سقطه .. هذه ـ .. ردود فعل انعكاسية .. كلا .. ماذا ؟.. كلا لا أستطيع هـذا .. لست بفيلسوف .. كل الناس .. كيف ؟.. صحيح ان كلا منهم له تفكيره الخاص .. وعالمه الخاص وآراؤه الخاصة التي قد لاتنطبق من شخص لآخر كمفاتيح منزل واحد .. اختلاف جزئي بسيط ... لماذا ـ لا .. وحقك .. (الآن) ذهبت بعد انتهائي من لفظها ؟.. كيف ؟.. نستطيع تمديدها .. لست ادري ؟.. أنت !!.. كلا .. ابحثي في هذا العالم عن النصف الثاني . أنا ؟.. لن أعثر عليه .. لاني لا احتمل اعباء المسؤوليـة .. انه ثقيـل مرهق .. لا استحق ذلك ؟... كلا .. لا افكر بشيء .. أنا قلق ؟.. ربما ، فكل انسان مهما كان لابد وان يعاني من هذه الظاهرة الخبيثة .. ضرورية ؟.. لا .. وعينيك .. ليست ضرورية لانها تستنفذ طاقات هائلة .. بل قد تجلب الويلات لمن يفرق فيها ... ليست على هذه الصورة بالذات .. ربما افكر بماذا سيحل بي غدا .. أبدا .. فأنا اعلـم كل ـ ... لست ابغي ان اقول كل شيء انما كل مستقبلي .. كيف ؟.. لأنني ارسمه بنفسي .. لماذا لم ارسم مستقبلي قبل عام ؟.. معك كل الحق في هذا الاعتقاد .. ألا تهز الانسان في بعض الاحيان يد اليقظة القوية ؟.. لا افترض ان اكون في غفوة .. ولا افترض فيـك الغباء أيضا ..

خداع ؟؟.. اسمحي لي ان اقول أنك بدأت بسلوك طريق الشـــك .. مبدأ اليقين .. ليس دوما .. أبدا .. قد يكون الشك في غير محله .. النتيجة !! لم اخدعك بل كنت أخادع نفسي .. كثيرون هم الذين يحاولون اخفاء قرص الشمس بالغربال .. لا تعتقدي بأني خال من كل شيء .. لا تزال هناك فكرة المستقبل .. اعتقد بأني على استعداد لنسيان الزمن الثالث .. ماذا ؟.. هذه مشابهة مغلوطة .. القدر يركب على ثلاث فقط ؟؟.. لا أصل لمن ينسلخ عن ماضيه؟.. الماضي شبح يطاردني فلا بد لي من أن اتخلص منه .. لن استطيع ؟.. هذه مغالطة .. كلا .. ارجوك .. لا تذكريني بذلك أبدا .. ماذا ؟.. اعترف لك اني اخشاه .. ماذا ؟.. تحدثينني عن المستقبل فحسب ؟.. اوافقـــك .. هلمي وتحدثي .. نعم .. نعم .. كلا .. لن أبقى وحيدا طيـــلة مسيرتي الآتية .. هناك من يلازمني دوما .. ظلـــي ؟.. وما به ؟.. فقدته ؟؟ أنت مخطئة جدا .. جدا جدا .. ماذا سأفعل .. سأعمل .. وادرس .. فقط ؟!.. بلا هدف ؟.. كلا .. غايتي هي ـــ .. بالحقيقة لا استطيع تحديدها .. ماذا ؟.. حتى المستقبل لا اعرف عنه شيئا ؟ .. أبدا .. اعرف خطوطه العريضة و ـــ .. اطار بلا صورة ؟ هناك

زجاجة شفافة فحسب ؟.. أنت مخطئة .. كيف احكم ؟ لا أجد التعليل .. بدأت اتخبط ؟.. أغالط ؟.. اغالط ماذا ؟.. الواقع !! تعسا له !!.. سلبية !؟ كيف يكون الانسان ايجابيا اذن ؟.. الماضي خيوط احترقت لا يمكن ان ننسج منها الحاضر .. أو المستقبل .. لم تحترق ؟ صورة ستطاردني حتى النهاية ؟؟.. وكيف الخلاص اذن ؟.. من الصعب جدا أن يتنازل الانسان عن كرامته .. لا يعد تنازلا ؟.. اذن ماذا ؟.. ماذا ؟.. اعتراف ؟.. فقط ؟.. نعم انني مصغ اليك جيدا .. اذكر ذلك .. تماما .. نعم .. قلتيه ولكن ماذا يجدي ؟ .. مجرد قولي (قلتيه) هو أقرارا بوجود الماضي ؟.. ومن انكر وجوده ؟.. أنا ؟؟.. نعم .. نعم .. ومن أنا لاعثر على الزمن الضائع الذي تعزمين بوجوده ؟.. الثقة ليست كل شيء ؟.. ماذااذن ؟.. الادراك العميق المتحفز ؟.. وما هو هذا (التحفز) ؟.. الايجابية؟.. بدأت بالعودة الى الفلسفة .. نعم .. صحيح .. ماذا ؟.. هذا جد صعب .. من أجلك ؟.. ومن أجلي أيضا ؟.. حاضر .. لابد لي من ان أقابلك ؟.. حسنا جدا .. سأفعل .. بالتأكيد ساقابلك .. أصبحت عاقلا ؟.. ماذا كنت اذن ؟.. عابثا ؟؟.. كلا .. لا تظلميني بحكمك .. أعترف لك بالخطأ .. ليس المهم ان نعترف بالخطأ ؟ اذن ماهو المهم ؟.. سأعمل .. سأراك وربما غلبت على أمري من

جديد .. ولكن .. آه .. المسؤولية ـــ كيف يحتملها غيري ؟.. لست أدري !!.. تجربة ؟.. وان فشلت ؟..

أنت واثقة من نجاحها .. شكرا .. تذكرينني بوالدي الذي اعتاد ان يقول :

ثق بنفسك واقدم على كل شيء تجد نفسك ناجحا .. اعترف لك بهذا . لا .. ربما لن أستطيع ان انسلخ عن الماضي .. يبدو لي انك على حق .. بعد ساعة أكون الى جانبك .. شكرا .. أود ـــ آه .. أعدنا الى حكاية المسؤولية ؟.. لماذا اخشاها ؟.. لأنني ـ .. لأنني ـ لست ادري .. سأعلم ذلك .. انك بعثت فيَّ شيئا جديدا .. سأحضر حالا .. الى اللقاء .. مع السلامة .. نعم .. الى اللقاء ثانية ...

نواف ابو الهيجاء

- ولد عام ١٩٤٢ في قرية عين حوض ـ قضاء حيفا .
- ١٩٤٨ وصل الى العراق مع قوافل اللاجئين .
- درس في مدارس البصرة وبغداد .
- ١٩٦٠ دخل جامعة بغداد ـ كلية الآداب في قسم الادب الانجليزي .
- ١٩٦٤ وصل الى دمشق .
- حصل على الليسانس في الادب الانجليزي من جامة دمشق .
- عمل في اذاعة بغداد عام ١٩٦٣ .
- بدأ الكتابة عام ١٩٥٧
- بدأ الشعر ثم اتجه الى الرواية .
- كاتب ملتزم .
- هذه هي مجموعته الاولى .

ـ صورة الغلاف للفنان العربي السوري لؤي الكيالي .
ـ الخطوط الداخلية والغلاف للخطاط محمد قنوع .

الثمن : ثلاث ليرات

LIBRARY
OF
PRINCETON UNIVERSITY

Princeton University Library
32101 073833418